الفصل الثالث

أنتم عاوزين صحافة مدرسة مصطفى وعلي أمين في «أخبار اليوم» اللي بتقولّك تدخل على الوزير تضرب بابه برجليك.. دي مدرسة لا مؤاخذة ماتنفعش عندنا!

أنور السادات

obeikandl.com

١٩٧٠

الصلاة على «عبد الناصر»

(١)

في يوم الخميس ١١ سبتمبر أُصيب «جمال عبد الناصر» بأزمة قلبية؛ لكنه تعافى منها، واستقبل بعدها عدة وفود عربية.

وبعد سبعة عشر يومًا.. وفي تمام الرابعة والنصف ودَّع «جمال عبد الناصر»، أمير الكويت بمطار القاهرة، ثم شعر بحالة من الإعياء الشديد، فغادر المطار عائدًا إلى بيته، وفور وصوله أصيب بانخفاض حاد في ضغط الدم.

وفي الساعة السابعة أكد الأطباء حدوث انسداد في الشريان التاجي أعقبته صدمة قلبية أدت إلى وفاة «جمال عبد الناصر».

وفي الثامنة مساءً عقد أنور السادات نائب الرئيس، اجتماعًا طارئًا بمنزل الرئيس الراحل شارك فيه الفريق «محمد فوزي» وزير الحربية، و«شعراوي جمعة» وزير الداخلية، و«سامي شرف» وزير الدولة، و«محمد حسنين هيكل» وزير الإرشاد القومي، و«حسين الشافعي» وزير

obeikandl.com

الأوقاف، و«علي صبري».

وتم الاتفاق على دعوة مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي لإعلان النبأ، وتقرر أن تكون الجنازة في العاشرة صباح يوم الخميس الأول من أكتوبر، وأن يُدفن الرئيس في المسجد الجديد بحي منشية البكري الذي يسكنه.

وتحركت الجنازة من مبنى قيادة الثورة بالجزيرة تُحمل فوق عربة مدفع تجرها ستة من الجياد يتبعها حَمَلة الأوسمة، ثم رؤساء الوفود، وكبار المشيعين، وبعد دقائق من سير الجنازة اندفعت إليها جموع الشعب وتحولت إلى جنازة شعبية.

أربع ساعات سيرًا على الأقدام، وعشرات الكيلومترات قطعها الشعب المصري بكل طوائفه من حي «الجزيرة» إلى «منشية البكري»، الأجداد والأحفاد، الآباء والأمهات، الشيوخ والشباب، النساء ارتدين الملابس السوداء، والرجال غلبتهم الدموع، وذلك من أجل أن يُلقي كل واحد منهم نظرة الوداع على «جمال».

سكن الحزن في كل بيت، وفي كل قلب، وأقام البسطاء في كل ميدان سرادق عزاء.. الكل يبكي، ويتألم، ويتوجع، والدموع تنهمر رغمًا عن الجميع، ولا أحد يصدق أن «الهرم الرابع مات» -مثلما وصفه نزار قباني.

لكن الناس لم تبكِ على الزعيم، ولا الرئيس، ولا القائد، ولا المعلِّم؛ بل بكت على الأب، والأخ، والسند، وكبير العائلة، فالبسطاء كانوا يعزُّون أنفسهم، فكل واحد منهم كان يشعر أنه قد فقد واحدًا من عائلته، ومن أقرب الأقرباء إلى قلبه.

obeikandi.com

(٢)

وفي اليوم التالي جاءت مانشيتات الصحف كالتالي:

«الأهرام» (رئيس تحريرها محمد حسنين هيكل):

- **عبد الناصر في رحاب الله**

وخرجت «الجمهورية» (ورئيس تحريرها فتحي غانم) تقول:

- **«الخُلد لك يا ناصر»**

بينما خرج عنوان «الأخبار» (ومدير تحريرها محمد التابعي، ورؤساء تحريرها أحمد الصاوي محمد، وحسين فهمي، ومحمد زكي عبد القادر، وموسى صبري) يقول:

- **يوم الوداع**

وفي صباح يوم السبت كان مانشيت «أخبار اليوم» (ورئيس تحريرها إحسان عبد القدوس) يقول:

- **«الصلاة على عبد الناصر»**

وأسفل هذا المانشيت عنوانان آخران:

- **صلاة الغائب على روح عبد الناصر في جميع مساجد العالم الإسلامي.. والملوك والرؤساء يشتركون في الصلاة**
- **٢٠ ألف عربيٍّ يسيرون إلى المسجد الأقصى بالقدس المحتلة لأداء الصلاة**

وأفردت مجلة «صباح الخير» (ورئيسا تحريرها محمود السعدني ولويس جريس) عددًا خاصًّا عن «جمال عبد الناصر» تحت عنوان:

- «**المبادئ لا تموت**»

وهذا ما فعلته أيضًا مجلة «المصور» في عددين عن «عبد الناصر»، الأول: صدر في الأسبوع الأول لرحيله، والثاني: في الثامن من نوفمبر تحت عنوان: «**١٨ سنة خالدة**»

واللافت أن افتتاحية المجلة كانت بقلم الرئيس أنور السادات الذي كتب مقالًا تحت عنوان «هذا عمك جمال».

وقبل أقل من شهرين من رحيل «عبد الناصر» كان قد تم الانتهاء من بناء السد العالي، وتم تكثيف العمليات العسكرية ضد العدو، وقام رجال القوات البحرية المصرية بتفجير قطعتين من الأسطول البحري الإسرائيلي مُحملتين بالدبابات والجنود.

(٣)

وفي الثامن من أكتوبر كان مانشيت جريدة «الأخبار» يقول:

- «**بيان أنور السادات إلى الشعب**»

وأسفل هذا المانشيت عناوين أخرى منها:

- **أعلن لكم بشرف أنني سأواصل السير على طريق عبد الناصر**
- **غياب البطل يعني أن المسؤولية تصبح كلها واجب الجماهير**

وفي الثامن عشر من أكتوبر قال الرئيس «السادات» في أول بيان له بعد انتخابه رئيسًا:

- «**لا ينبغي لهذا الشعب أن يضع ثقته المطلقة لفرد بعد عبد الناصر**»

وفي اليوم التالي قال «السادات»:

- «**أَعِدكم أن أكون للجميع.. من قالوا نعم.. ومن قالوا لا**»

(٤)

في هذا التوقيت تصدَّر غلاف مجلة «الكواكب» عنوان يقول:

- «**مذكرات تحية كاريوكا» بقلم «صالح مرسي**»

وفي صباح اليوم الأول لنشر المذكرات، ذهب «صالح مرسي» إلى مقهى «بترو» بالإسكندرية مبكرًا، فوجد أمامه «نجيب محفوظ» و«توفيق الحكيم» وأمامهما البحر بكل امتداده، والكورنيش خالٍ من المارة، ومن السيارات في ذلك الوقت من الصباح.

وفي المقهى عدد من الرواد لا يزيد على أصابع اليدين، وعندما اقترب منهما كان كلٌّ منهما ساهمًا، وكل منهما يضع تحت يده فوق المائدة عددًا من «الكواكب» التي كانت قد صدرت في هذا اليوم.

ألقى «صالح» بالتحية، فجاءه الرد فاترًا، وجلس إليهما فإذا بالفتور يسري إليه، ظن أن ثمة ما يشغلهما، فهمَّ بالانصراف، فإذا بـ«توفيق الحكيم» يهتف فيه غاضبًا:

«إيه اللي انت عملته ده يا أستاذ؟!».

وبدت كل علامات الدهشة على وجه «صالح» قبل أن يقول مخاطبًا «الحكيم»: «هو أنا عملت إيه يا أستاذ؟!».

فصاح «الحكيم» قائلًا: «ليه سمّيت اللي انت كاتبه ده كاريوكا؟!».

فرد «صالح» قاطعًا، وهو مذهول: «لأنها تحية يا توفيق بك».

obeikandi.com

فإذا بـ«نجيب محفوظ» يقاطعه والأسى يقطر من بين شفتيه: «طب ما تسمِّيها (قصة راقصة) يا أخي»!

نظر إليهما «صالح» وهو لا يعي ما يسمع، وانهال عليه التقريع من كليهما، لكنه أنصت في إجلال ليتعلم درس عمره من العم «نجيب محفوظ» الذي مال نحوه وقال له: «اللي انت كاتبه ده أدب.. أنا لو سميت (اللص والكلاب) «محمود سليمان» -الذي أطلقوا عليه لقب السفاح في الستينيات- ماكانتش بقت رواية»!

ثم أشعل العم «نجيب» سيجارة حان موعدها، وقال في ابتسامة حانية: «وبرضه كانت حتبقى كاريوكا، مش حد تاني»!

لقد منحه سر الصنعة، وتعلم «صالح مرسي» الدرس الأهم في عمره، وربما كان ذلك اليوم هو مفترق الطرق الذي غيَّر مجرى حياته لينتقل من قاصٍّ جيد إلى صانع أدب جديد.

كانت مذكرات «كاريوكا» هي البداية، لكن «صالح مرسي» قاوم كتابتها كثيرًا؛ فقد كانت المرة الأولى في نهاية الخمسينيات حين ذهب إلى «كاريوكا» وقال لها «نفسي أكتبك» فوافقت، وهرب ونسي أو تناسى، ثم عاد وكرر الطلب بعد تسع سنوات، فوافقت ثم اختفى للمرة الثانية، لكنه عاد بعد أسابيع قليلة ليبدأ معها تسجيل رحلة حياتها في عشرين ساعة، لتُنشر في مجلة «الكواكب»؛ لكن المدهش أن هذه المذكرات لم تُنشر في كتاب، بل إنها اختفت!

١٩٧١

محظور من صفحة الوفيات!

(١)

أعلن الرئيس «السادات» أن هذا عام الحسم، وأن المعركة مع إسرائيل حتمية.

ولما تأخر الحسم، اشتعلت المظاهرات الطلابية تنديدًا بحالة اللا سلم واللا حرب، وشارك فيها عدد كبير من المثقفين، من بينهم الدكتور «عبد الوهاب المسيري» الذي قام بحملة لجمع توقيعات من الأساتذة تأييدًا لمظاهرات الطلبة.

وكتب الدكتور «فؤاد زكريا» بيانًا وقَّع عليه عدد من كبار مثقفي مصر، وكان «المسيري» من أوائل الموقِّعين، وقد ظن رئيس جامعة القاهرة أنه المسؤول عن البيان فاستدعاه إلى مكتبه، وأخذ يعنِّفه لأنه تسبب في إغلاق الجامعة، فجاء رده حاسمًا قاطعًا: «لا فائدة من جامعة مفتوحة في بلد محتل».

obeikandi.com

(٢)

وبعد أشهر قليلة وقعت قصة العام بلا منافس!

ونشرتها جريدة «الأهرام» بتوقيع «محمد حسنين هيكل».

القصة بدأت في ٢٠ أبريل عام ١٩٧١ حين ذهب ثلاثة من رجال «عبد الناصر» إلى جلسة «تحضير أرواح» لاستشارة الجن في مستقبلهم السياسي!

الثلاثة هم «الفريق محمد فوزي، وزير الحربية الأسبق، واللواء شعراوي جمعة، وزير الداخلية الأسبق، وسامي شرف، سكرتير الرئيس عبد الناصر»، وقد تم تسجيل الجلسة!

وما حدث في ٢٠ أبريل تكرر في ٤ مايو من نفس العام، وتم تسجيله أيضًا، ويومها قام الرئيس «السادات» بإرسال التسجيلات في منتصف الليل مع ابنته إلى الأستاذ «محمد حسنين هيكل»، لينشر نص التسجيلات التي تُدين رجال «عبد الناصر» في جريدة «الأهرام»، لكن «هيكل» تردد في نشرها، وذهب إلى المفكر الكبير «توفيق الحكيم» ليُطلعه عليها.

ويروي «هيكل» تفاصيل ما جرى بقوله: «أعطيت توفيق الحكيم جلستين من جلسات تحضير الأرواح منقولتين بالحرف على الورق كما نطقت بها أصوات أصحابها على أشرطة التسجيل المغناطيسية. وقرأ توفيق الحكيم، ثم قال لي: لو أنني كتبت مثل هذا في رواية لا تَّهمني الناس بأنني شربت نهر الجنون إلى آخر قطرة. ثم شرد لدقيقة مع خواطره، وعاد يقول: إنني مع النشر.. إن أسبابك للنشر أقوى من أسبابك في الامتناع عنه». هنا قرر «هيكل» النشر.

قد تُصدِّق الواقعة وقد ترى أن التسجيلات مُختلَقة، لكن الثابت الوحيد أن لدينا على هذه التسجيلات شاهدين هما «توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل»، وهناك ثلاثة أسباب تؤيد صحة هذه الواقعة:

أولها، أن الرئيس السادات اختار «هيكل» دون غيره ليرسل إليه التسجيلات التي ستكون مبررًا في تصفية رجال «عبد الناصر».

ثانيها، أن «هيكل» اختار «توفيق الحكيم» ليكون شاهدًا على التسجيلات، رغم أنه بعد عام واحد فقط من نشر التسجيلات صار كلاهما طرفًا في معركة كبيرة بسبب هجوم «الحكيم» على «عبد الناصر».

ثالثها، أن الدجال (وكان يعمل أستاذًا جامعيًّا!) الذي ذهبوا إليه أوحى إليهم بأن يتقدموا باستقالاتهم، بهدف عمل فراغ دستوري، ليضعوا «السادات» في مأزق يضطر بعده إلى الرضوخ لهم، وقد فعلوا ذلك بالفعل في ١٥ مايو، أي بعد الجلسة الثانية لتحضير الأرواح بـ١١ يومًا فقط.

لكن العرَّاف لم ينفعهم؛ فالسادات مثلما استطاع أن يخترق الجلسة بوضع أجهزة «التنصُّت» في حضرة ملك الجن، يبدو أنه «جَنَّد» العرَّاف نفسه، لينصحهم بتقديم استقالاتهم التي كان في انتظارها، فقَبِلَها على الفور، وأصدر قرارًا باعتقالهم، وبرَّر ذلك بعبارته الشهيرة «دُول المفروض يتحاكموا بتهمة الغباء السياسي»!

(٣)

وعلى خلفية ما جرى في ١٥ مايو صدر قرار بالقبض على الكاتب الساخر «محمود السعدني» رئيس تحرير مجلة «صباح الخير» السابق.

وذهب «السعدني» إلى النائب العام، وتم توجيه عدة اتهامات إليه منها أنه روى أكثر من نكتة سخر فيها من رئيس الجمهورية.

وفي ١٦ ديسمبر صدر الحكم بحبس «محمود السعدني» خمس سنوات، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم.

وصعد «السعدني» إلى سيارة الترحيلات مع بعض المحكوم عليهم إلى سجن القناطر، وحين اقترب من السجن ظنَّ -وبعض الظن إثم- أنه سيقضي العقوبة في واحدة من القرى السياحية ذات الخمس نجوم.

فالمظهر الخارجي للسجن يوحي أنه مكان شاعري يصلح لتجول العشاق والمحبين، فأشجار السرو العالية تُخفيه عن العيون، وأشجار الجميز العتيقة تحفّه من كل جانب.

ولكن مَن تطأ قدمه البوابة الخارجية للسجن يجد نفسه فجأة في مكان أشبه بمعسكرات الاعتقال؛ أسوار غليظة تعزل السجن عن العالم، وأبراج حراسة مزودة بالكشافات، والحراس مزودون بالمدافع الرشاشة، وفي فناء السجن يتجول الحراس وقد نزع النظام الصارم المفروض على السجن قلوبهم من صدورهم -على حد تعبير «السعدني»- وتسلحوا بالعصيّ الغليظة والسياط، ومع الحراس تتجوّل عشرات من الفئران الضخمة التي تفر القطط من أمامها، وتفسح لها الطريق، فهي تقرض كل شيء، خشب المقاعد، وأبواب الزنازين، وتتحول في النهاية إلى طعام يشارك في حل أزمة اللحوم داخل السجن؛ فالمسجونون القدماء ينصبون الفخاخ لصيدها وشيّها على النار؛ ويُقسم الذين شاركوا في وجبة الفئران هذه أنها ألذ ألف مرة من اللحوم التي تقدمها إدارة السجن.

في أثناء وجود «السعدني» في السجن صدر قرار بفصله من مؤسسة «روزاليوسف»، وبمنعه من الكتابة، وحظر نشر اسمه في الصحف حتى في صفحة الوفيات!

obeikandl.com

(٤)

وفي تلك الأثناء قرر الرئيس «السادات» رفع القيود التي كانت مفروضة على سفر الصحفيين إلى الخارج، فكان لا يسمح لهم بالخروج هم وأسرهم إلا بعد موافقة الداخلية.

وانتقل الأديب «يحيى حقي» من رئاسة تحرير مجلة «المجلة» ليصبح كاتبًا متفرغًا في جريدة «التعاون».

وقد لعب «حقي» دور كشاف المواهب، واستطاع خلال السنوات الثماني التي قضاها في «المجلة» أن يجعل منها منبرًا للمعرفة، ووجهة للمواهب اللامعة من الشباب في القصة والشعر والنقد والفكر.

وبمجرد أن علمت «الأهرام» بترك «يحيى حقي» لـ«المجلة» طلبت منه الانضمام إليها بالمبلغ الذي يحدده؛ لكن «حقي» اعتذر قائلًا: «يا ليتكم قلتم لي قبل ذلك بأيام، فقد تعاقدت مع جريدة التعاون».

بالطبع كانت بمثابة الصدمة لكل من علم برفض «يحيى حقي» الكتابة في «الأهرام» وتفضيل جريدة عمالية محدودة التوزيع؛ لكن صاحب «قنديل أم هاشم» كان يرى أن الكتابة للعمال ضرورة وطنية لا تقل عن الكتابة للمثقفين أو للعالم العربي كله.

وقيل إن سببًا آخر كان وراء رفض «يحيى حقي» الانضمام لكبار الكتاب في «الأهرام».

فحين سُئل عن سبب رفضه قال: «إنني في (الأهرام) سأكون واحدًا من طابور العظماء الذين يكتبون بالجريدة، إنما في (التعاون) أنا المَلِك».

لكن مرت الأيام، وتعثرت الحالة المادية لـ«يحيى حقي».

obeikandl.com

فعاود بعض أصدقائه في «الأهرام» الاتصال به، وتجديد العرض مرة أخرى، بالمبلغ الذي يريده، وفي اليوم الذي يحدده، وبالمساحة التي يريدها، إلا أن «حقي» انفعل بشدة، وصرخ في وجه صديقه «سامي فريد» -سكرتير تحرير «الأهرام»- الذي قدم له العرض، قائلًا: «أنت كمان؟ عاوزين منّي إيه؟ هو أنت صدّقت إني باشْحت؟».

وظل «حقي» -الذي لم يحصل على حقه- على عهده يكتب في جريدة «التعاون» دون أن يأخذ مليمًا واحدًا!

obeikandl.com

١٩٧٢

أشباح خائفة

(١)

كانت معركة العام!

بطلها: «جمال عبد الناصر».

أطرافها: توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ في جبهة، ومحمد حسنين هيكل، ومحمد عودة في جبهة أخرى، وبينهما لويس عوض، وآخرون.

في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه «عودة الوعي» قال المفكر «توفيق الحكيم»: «غضب الناصريون داخل مصر وخارجها وهاجوا وماجوا كما لو أن الناصرية دينًا مقدسًا لا ينبغي المساس به، وكما لو أن عبد الناصر فوق مستوى البشر، ليس لمخلوق أن يحاسبه على خطأ، ولو كان شخص جمال عبد الناصر هو المقصود لكان من واجبنا التسامح، ولكنت أول المطالبين بالترحم على ذكراه، وعدم إزعاجه في مثواه؛ ولكن عبد الناصر ليس شخصًا واسمًا.. إنه فترة حكم طويل دمغ مصر كلها بطابع معين، ولم يزل هذا الطابع من بعده يدمغ لحم مصر كأنه الوشم الذي يطمس معالم ما تحته».

وتابع «الحكيم»: «لا بد من فتح ملف ثورة ١٩٥٢ بأكملها، والهدف

obeikandi.com

من هذا هو فتح العيون على الأخطاء والكوارث حتى نتجنبها ونحن نبني مصر من جديد.. ولكن الناصريين الراكبين على حصان عبد الناصر يفزعون من مجرد ذكر فتح الملف.. لماذا؟ أترك الجواب لفطنة من يحب الحقيقة، ويريد لبلاده أن تُبنى على الصدق، وليس له غرض آخر أو مرض، ولن أكفَّ عن المطالبة بفتح الملفات وكشف الحقائق مهما يسخط الساخطون».

وقرر الكاتب الكبير «محمد عودة» أن يفنِّد ما قاله «الحكيم» بقوله: «لا يليق بكاتب أن ينغمس في عصرٍ إلى آخره، ويعيش كل أحداثه ويبارك إنجازاته ثم يخرج بعد نهايته وبعد قيام عصر آخر يرى أنه نقيضه ليعلن أنه سقط وأنه فقد وعيه خلال كل العصر، بهرته أضواء شديدة زائفة، وأعمته عن الحقيقة، ودفعته إلى تمجيد الباطل، وهو لا يطلب سوى التوبة والغفران.. لقد كانت سقطته كبيرة، وهو يكفِّر عنها بأن يعلن أن كل شيء كان دجلًا وعارًا، وزورًا انطلى على العامة والخاصة معًا.. وذلك ما فعل الأستاذ توفيق الحكيم، وقد أعلن أنه في المدة ما بين ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ونفس التاريخ عام ١٩٧٢ فقد وعيه تمامًا، ولم يكن يرى حقيقة الأمور، وأنه استردّ هذا الوعي.. على أصحاب الشأن أن يسامحوه، وبالطبع أن يعتمدوه، ووعيه الآن في يده، وهو يستطيع أن يتصرف فيه»!

ويستطرد ساخرًا بقوله: «في العصر الفاسد كان توفيق الحكيم يحتل أرفع مكان يحتله كاتب، بل كان الكاتب المفضل المدلل».

ويروي «الحكيم» السبب وراء ما كتبه فيقول: «لم يكن في عزمي ولا نيتي الإذن بنشر هذه الصفحات يوم كتبتها في ذلك اليوم هو انقضاء ٢٠ عامًا على ثورة ١٩٥٢ وتأملي هذه الفترة من تاريخ بلادي، والجو من حولي مكفهرٌّ بالأحداث الأليمة، جعلت أسترجع ما وعته ذاكرتي من

صور الثورة، ومن صلتي بها، وأحاسب نفسي من خلال محاسبتي لها ولم أُطلِع أحدًا على هذه الصفحات».

وتابع «الحكيم»: «أردت أن أدسها بين أوراقي الخاصة، واعتبرتها مذكرات تحدد على الورق مشاعري الشخصية تجاه تلك الحقبة؛ لأن مواقف أهل الرأي التي يجب أن تعلَن هي التي تكون في أثناء الأحداث وفي صميمها -إن استطاعوا- وليس بعدها، ولذلك بقيتْ هذه الصفحات خطية مطوية إلى أن شاءت ظروف في مناسبة من المناسبات أن أُطلع عليها صديقًا قديمًا أثق به كل الثقة، فاستأذنني في استخراج نسخة من المخطوطة يحتفظ بها لنفسه، وكان أن استنسختها على آلة كاتبة، وإذا بعددٍ من النسخ قد تسرّب، حتى إن مجلة فرنسية محترمة قد نشرت ترجمة غير كاملة عن نسخة من تلك النسخ المتسربة، ثم علمتُ أن إحدى الجرائد في لبنان قد نشرت عن النص الفرنسي، وهنا عزمتُ على أن أقاضي قانونيًّا كل الذين نشروا هذه الصفحات؛ لكن بعد التروي واستشارة الأصدقاء من أهل الفكر تم الاتفاق على أن أصرِّح بالنشر ما دام النشر قد وقع بالفعل».

ويرد «عودة»: «كل من يعمل بالثقافة أو الكتابة في مصر أو من يعنيهم الأمر يعرفون أن القصة مختلفة تمامًا، وأن الكاتب الكبير استدعى ذات يوم اثنين من الكتاب المعروفين كل منهما على حدة، وسلَّم كل منهما نسخة وطلب من كل منهما أن يقرأ ما فيها ثم أن يستنسخ عددًا منها، وأن يوزعها على عدد من الكتاب سمّى أسماءهم.. وقرأ أحدهما (الكتيب) ولم يهتز له، ولم يملك إلا أن يبدي له رأيه فيه، وأنه ليس ذا قيمة، وليس شهادة حقيقية على العصر، ونفذ الكاتب الثاني ما طلبه (الأستاذ)، وتسربت النسخ بعلم كاتبها وتدبيره، وتبين بعدئذٍ أنهما لم يكونا الوحيدين موضع الثقة والسر».

(٢)

وتحت عنوان «مغامرة اليمن» كتب «الحكيم» يقول: «إن تاريخ حرب اليمن سيُكتب يومًا في صفحات صادقة لنعرف حقيقة ما جرى هناك، وماذا كانت النتيجة التي خرجنا بها؟ من المؤكد أنه بالإضافة إلى الأرواح التي ضاعت من جيوشنا وتقدَّر بعشرات الآلاف من الرجال، فإن المعروف أيضًا أن غطاء الذهب الذي نملكه قد ضاع بأكمله في هذه الحرب الضائعة، وضاع معه أملنا في تحسين أحوالنا»!

أما «عودة» فيرى أن «جمال عبد الناصر» لم يفشل في حرب اليمن وتظل كل الأخطاء ثانوية إزاء العمل الكبير الذي تحقق.

ويتحدث «الحكيم» عن «عبد الناصر» قائلًا: «لقد أصبح معبود الشعب، فهذه كانت أول مرة في تاريخ مصر الحديث يحدث أن يظهر معبود أراد أن يكون لإرادته في كل البلاد العربية من القداسة والعظمة والسُّلْطة ما لم يكن يملكه الأنبياء والرسل؛ فالأنبياء والرسل كانوا يجدون من يجادلهم، ويناقشهم، ويعارضهم».

أما «عودة» فيذكِّرنا بما كتبه «الحكيم» بعد وفاة «عبد الناصر» بقوله: «كتب توفيق الحكيم مرثية تمجِّد البطل الذي ذهب، وطالب بأن يقام له على الفور تمثال في أعلى مكان (ليظل بيننا دائمًا) ودفعه أقصى الحماس أن يتبرع من ماله بخمسين جنيهًا ويقول: هذه الخمسون من الجنيهات أسهم في قائمة الاكتتاب، وما أرخص المال إلى جانب فضلك يا جمال، وستبقى دائمًا في ذاكرتنا وأنت في عِلِّيِّين»!

ولم ينكر «الحكيم» أنه قال هذا الكلام؛ لكنه يضيف: «بعد أن توفي عبد الناصر جاءتني خطابات محبِّذة متأثرة مثلي بالعاطفة،

وجاءتني قِلة من الخطابات مترددة، ثم وجدتُ خطابًا يقول فيه صاحبه إنه موافق على إقامة التمثال؛ ولكنه يرى أن يكون مكانه ليس القاهرة بل في تل أبيب(!!)؛ لأن إسرائيل لم تكن يومًا تحلم بأن تبلغ بهذه السرعة هذه القوة العسكرية ولا أن تظهر أمام العالم بهذا التفوق الحضاري إلا بفضل سياسة عبد الناصر».

(٣)

ولم يكن الأستاذ «محمد حسنين هيكل» بعيدًا عن أجواء المعركة، فقد كتب يقول: «كل من كتب، وكل من تكلم، كان موجودًا أيام عبد الناصر، وأشهد عليهم جميعًا، وأبسط شيء يمكن أن يقال لهم إنهم كانوا أشباحًا خائفة، أشباحًا ضعيفة، مَن يملك الشجاعة لا ينتظر الموت ليمارس شجاعته.. الشجاعة الحقيقية هي أن يقف الإنسان أمام الحياة، ويتحدى، لكن مَن لا يستطيع أن يهمس رأيه إلا بعد الموت، حتى يتأكد أن أحدًا لن يرد عليه، فليس في موقفه هذا نوع من الشجاعة، فضلًا عن أن الذين كتبوا مذكرات، مع الأسف الشديد، وبالرجوع إلى مواقفهم جميعًا، لم يكن هنا أسبق منهم إلى حرق البخور أمام عبد الناصر»!

ورد «الحكيم» قائلًا: «استلفت نظري أن الأستاذ هيكل المدافع عن عبد الناصر قد رد على نفسه بنفسه حين وصف مَن نقدوا اليوم حكم عبد الناصر بأنهم كانوا أشباحًا خائفة ضعيفة، وهذا صحيح. لكن هل توجد الأشباح الخائفة الضعيفة إلا في جوٍّ من الفزع والرعب؟ لماذا إذن لا توجد أشباح خائفة ضعيفة في بلاد مثل فرنسا وإنجلترا وغيرها من البلدان التي لا يعيش أهلها في الرعب والهلع من التعذيب والمعتقلات والاعتداء على الأعراض؟».

ويضيف الحكيم: «أما عن شجاعة الناقد الذي ينقد لأنه متأكد أن أحدًا لن يرد عليه، فليطمئن الأستاذ هيكل إلى أن مَن يتعرض لقداسة عبد الناصر في مصر وغير مصر سوف يجد من يهبّ للدفاع عنه بالحق والباطل، ذلك أن الراكبين على جواد عبد الناصر في كل مكان هم دائمًا أكثر الرابحين، إنها حيل مألوفة للتشويش على الاتِّهام لصرف النظر عن جوهر التهمة ليفلت المتهم».

ودخل «نجيب محفوظ» إلى ساحة المعركة برواية «الكرنك» تلك الرواية التي تعرض فيها لما كان يحدث في سجون «عبد الناصر» من تعذيب بأحطِّ أنواع الأساليب، فهاجمه «عودة» قائلًا: (لقد قال أحد الزعماء ذات يوم «إذا سكت أعداؤنا عن مهاجمتنا فلا بد أن نقلق وأن نراجع أنفسنا» وهذه الحملة هي أفضل اعتراف بأن عبد الناصر ما زال حيًّا وقاهرًا، وليست هناك تحية لعبد الناصر أفضل من أن يتصدر الحملة كتاب ساقطون أو ما دون السقوط؛ لكن هذا هو توفيق الحكيم كما لا يعرفه الكثيرون، ويشترك معه نجيب محفوظ في الكثير من الصفات».

ويُنهي «عودة» كلامه قائلًا: «لا يضير عبد الناصر أن يُكتب ضده بضعة كتب صفراء حمقاء، إن ما يُكتب عنه في الجانب الآخر لا ينتهي، ولن يضيره كتابان ضده خصوصًا وهما يعلنان سقوط كاتبين جازا على الناس لبعض الوقت».

(٤)

وتحت عنوان «وعينا الضائع والمفقود بين توفيق الحكيم ومحمد عودة» كتب الكاتب «عباس أحمد صالح» يقول: «توفيق الحكيم هو أقرب الكتاب الكبار إلى اليسار الوطني، ولعل كتابته كانت ضرورية لكي ينتقل الفكر العربي إلى المفاهيم الثورية الحديثة.. واستقطبت ساحة

المعركة الناصري الكبير كامل زهيري الذي قال: لم يخلُ تاريخ عظيم من هنات أو كبائر، وليس هذا يُغضب أحدًا، ولكن الذي يُغضب، ويؤلم حقًّا أن نبتعد عما نسميه الموضوعية أو ما يسميه الحكيم في فلسفته التي طلع بها علينا ذات يوم التعادلية على الرغم من أن ما كتبه الحكيم في عودة الوعي لا علاقة له بالموضوعية، ولا بالإنصاف، ولا بالتعادلية».

ونزل الدكتور «لويس عوض» ساحة المعركة حين قال: «توفيق الحكيم أكبر نقاد الناصرية الشرفاء، وما كتبه نموذج مهم للنقد الذاتي، فتوفيق الحكيم منذ كتابه (عودة الروح)، وهو صاحب نظرية (الزعيم المعبود) الذي به وحده تُبعث مصر حسب رؤيته، وتوفيق الحكيم يعلم أن المعبود لا يناقَش، فإذا كان اليوم يناقشه فمعنى هذا أنه وصل أخيرًا في تفكيره السياسي إلى ضرورة تحطيم كل المعبودات.. فهل انتهى توفيق الحكيم حقًّا إلى الحل الديموقراطي؟».

وينتقل للحديث عن «هيكل» -وتحديدًا عن ذلك الحوار الذي أجراه مع الكاتب اللبناني «فؤاد مطر» تحت عنوان «بصراحة عن عبد الناصر»- بقوله: «هيكل أكبر دعاة الناصرية الشرفاء؛ لكني وجدتُ الكتاب مُربِكًا؛ لأني توقعت أن أجد أشياء كثيرة لكني لم أجدها.. كنت أنتظر من هيكل أن يراجع موقفه من بعض مقومات الناصرية لسبب بسيط، وهو أن كل ما يجري الآن في المجتمع المصري داخليًّا وخارجيًّا على غير ما يرضى به الأستاذ هيكل، بدليل أن تنحيه ليس إلا نتيجة مباشرة لفشل الناصرية دعوةً ومواقف».

وفي العام التالي توقفت المعارك الفردية من أجل المعركة الأسمى والأهم والأبقى.

١٩٧٣

إسرائيل في ذهول

(١)

كانت مصر تغلي من فورة الغضب بعد أن ألقت الشرطة القبض على مئات من الكُتاب، والصحفيين، والعمال.

وجمع «توفيق الحكيم» عددًا كبيرًا من الكُتاب ورجال الفكر في مكتبه بجريدة «الأهرام»، وكتب بخط يده عريضة وقَّع عليها «نجيب محفوظ، وصلاح جاهين»، وبقية المجتمعين لتقديمها للرئيس «السادات»، وجاءت في تلك العريضة جملة جعلت الرئيس يستشيط غضبًا، وهي: «لقد كثر الكلام عن المعركة دون معركة حتى صارت المعركة مضغة في حلوقنا لا نستطيع أن نبتلعها، ولا نستطيع أن نلفظها».

وقبل أن تصل العريضة إلى «السادات» نشرها بعض الصحف الأجنبية؛ فغضب الرئيس، وأصدر قرارًا بعزل كل الموقِّعين على البيان من مناصبهم باستثناء «الحكيم، ومحفوظ، وجاهين».

obeikandl.com

وصدر قرار من الاتحاد الاشتراكي بإسقاط عضوية عدد كبير من الصحفيين من بينهم: «يوسف إدريس، ومحمد عودة، ولويس عوض وألفريد فرج، ومحمود أمين العالم، ومحمد العزبي، وجمال الغيطاني، ومكرم محمد أحمد، وصلاح عيسى».

وبذلك تم حرمانهم من العمل بالصحافة؛ إذ كان شرط العمل بالصحافة أن يكون عضوًا بالاتحاد الاشتراكي، ثم صدر قرار آخر بفصل مجموعة أخرى من بينها «ثروت أباظة».

(٢)

وحاول الكاتب الصحفي «أحمد بهاء الدين» التوسط لدى الرئيس، ولم تفلح محاولاته، بل صدر قرار بنقله هو الآخر من جريدة «الأهرام» إلى هيئة الاستعلامات، وذهب «بهاء الدين» إلى وزير الداخلية «ممدوح سالم»، وجلسا معًا، وقال «سالم» لـ«بهاء»: «إن كل التقارير التي تتلقاها أجهزة الأمن ضد الصحفيين يكتبها صحفيون منكم».

فردّ «بهاء» قائلًا: «هذا طبيعي، فأدق التقارير عن الطلبة لا بد أن يكتبها طلبة، وهكذا في كل مجال، ونحن نعرف الصحفيين الذين يحترفون كتابة التقارير السرية لأجهزة الأمن ضد زملائهم، ولكنكم لو تحريتم عنهم قبل أن تأخذوا بكلامهم لعرفتهم أنهم من أردأ نوعيات الصحفيين الفاشلين المملوءة قلوبهم بالضغينة ضد كل صحفيٍّ ناجح».

وردّ وزير الداخلية قائلًا: «نحن نعرف ذلك، ولكن هل تتوقع من صحفي مستقيم حسن الخلق، ابن ناس، وناجح في عمله أن يكتب تقارير للمباحث نظير أجر؟! هات لي عشرة من هؤلاء ولو كانوا خريجي أوكسفورد يرضون أن يكتبوا تقارير للمباحث، وسوف تستغني المباحث

فورًا عن النوعية التي تكتب التقارير الآن».

.. وضحك الاثنان!

وفي هذا التوقيت أصدر الرئيسان حافظ الأسد والقذافي قرارًا بتعيين الفريق أول أحمد إسماعيل قائد القوات المصرية، قائدًا عامًّا للقوات المسلحة الليبية والسورية، فكانت واحدة من علامات المعركة.

(٣)

وجاء يوم السادس من أكتوبر...

وخرجت مانشيتات الصحف صباح اليوم التالي تحمل بشارة النصر والعبور وتقول:

«الأهرام»: «**قواتنا عبرت القناة.. واقتحمت خط بارليف**».

«الأخبار»: «**عبرنا القناة.. ورفعنا علم مصر.. والأسرى بالمئات**».

«الجمهورية»: «**إسرائيل في ذهول**».

وفي يوم الاثنين الثامن من أكتوبر وصفت وكالة «الأسوشيتد برس» الأمريكية نتائج العمليات الحربية في برقية بعثت بها من تل أبيب نقلًا عن المراقبين العسكريين الإسرائيليين جاء فيها: «سير القتال في اليوم الثاني كان حرجًا للغاية بالنسبة إلى القوات الإسرائيلية».

وفي صباح يوم الثلاثاء كان المانشيت الرئيسي لجريدة «الأخبار» يقول:

- **إسرائيل تعلن انسحابها إلى خط دفاع جديد.. سيطرنا تمامًا على الضفة الشرقية للقناة**

obeikandl.com

وفي يوم الرابع عشر من أكتوبر، أعلنت إسرائيل أن مصر تستخدم تكتيكًا جديدًا في الحرب بقوات الكوماندوز، وقال قائد إسرائيلي للصحفيين إن القوات الخاصة المصرية تدخل سيناء من كل مكان، وبكل الوسائل، بالهليكوبتر، وبالقوارب، وعلى الأقدام.

وفي اليوم التالي هدد الرئيس الأمريكي نيكسون بالتدخل في الحرب لحماية إسرائيل واستقلالها، وقامت إسرائيل باستدعاء ضباط خدموا في حربي ١٩٤٨ و١٩٥٦.

وأعلنت واشنطن أن إسرائيل خسرت خلال عشرة أيام فقط ثلث طائراتها ومدرعاتها، وفي يوم الثامن عشر من أكتوبر خرجت الصحف تقول: - **أضخم معارك الحرب حتى الآن دارت بالأمس وما زالت تدور في سيناء**

- **قتال شرس تشترك فيه مئات الدبابات تعاونها السيارات المدرعة والمدفعية الثقيلة والطيران والدفاع الجوي**

ووضع الكاتب الساخر «أحمد رجب» تصورًا للامتحانات في مدارس تل أبيب بعد هزيمة إسرائيل جاء فيها:

من امتحانات اللغة في إسرائيل بعد ٦ أكتوبر:

أولًا- قواعد اللغة: أوجد الفاعل في العبارتين التاليتين:

(أ) يتقن الإسرائيليون اللغة العبرية.

(ب) يتقن المصريون اللغة العبورية.

ثانيًا- الإنشاء: اكتب في أحد الموضوعين الآتيين:

١- عُدتَ من الحرب دون أن تقتل أو تظهر في أي تليفزيون عربي.. اكتب أسباب هجرتك من إسرائيل.

٢- هب أنك موشي ديان.. اكتب استقالتك.

obeikandl.com

(٣)

وفي يوم الجمعة، التاسع عشر من أكتوبر، خرج سبعة رجال في مهمة خاصة جدًّا كانوا يعلمون أنه ذهاب بلا عودة.. القائد كعادته يسير أمامهم، وبدا كأنه ذاهب للقاء ربه.

يسير بخطى ثابتة وواثقة نحو قوات العدو؛ ليواجه قرابة ٥٠٠ دبابة، وآلاف الجنود الذين تحرسهم الطائرات.

أيقن الأبطال السبعة أنهم مُقبلون على الموت، فقرروا أن يقذفوا الرعب في قلب العدو قبل أن يلاقوا ربهم.

وصعد أربعة منهم فوق قواعد الصواريخ، وأعطى قائدهم «إبراهيم الرفاعي» الأوامر بضرب القوات الإسرائيلية بمدفع ٥٧ مترًا، وفتح الأبطال وبينهم قائدهم النيران على قوات العدو، وعندما شاهد العدو دخان المدفع، ظن أن قوات الصاعقة المصرية قد حاصرتهم؛ فأرسل قائد قوات العدو «شارون» عدة استغاثات يطلب النجدة من تل أبيب!

ثم أمر «شارون» قواته بالبحث عن قائد المجموعة المصرية، وتصويب المدافع عليه، ولاحظوا أن هناك رجلًا يقف بين الجنود يبدو من هيئته أنه قائدهم، ويعلق في رقبته ثلاثة أجهزة اتصال فعرفوا أنه القائد وأخرجوا مجموعة كاملة من المدفعية لمواجهته؛ فقفز أعضاء المجموعة من أعلى قاعدة الصواريخ، وحاولوا جذب «الرفاعي» من ملابسه ليختبئ معهم؛ ليكون بعيدًا عن مرمى نيران العدو.

لكن «الرفاعي» أبى أن يختبئ، ورفض أن يحني هامته على أرضه، وظل يوجه سلاحه صوب العدو حتى أصابته شظية مدفع.

obeikandi.com

فصعد رجال المجموعة «٣٩» وحملوا «الرفاعي» على أعناقهم ووضعوه في سيارة، ليذهبوا به إلى المستشفى؛ لكن نيران العدو ظلت تلاحقهم، واشتدت ضرباته في اتجاههم؛ لكنهم أقسموا أن يحملوا «الرفاعي» معهم، ويذهبوا به إلى أقرب مستشفى؛ لكنهم لم يبلغوا القادة أنه أُصيب.

لكن حين وصلوا إلى أقرب تجمع للجنود المصريين، ولم يكونوا يعرفون وجه «الرفاعي» من الدماء، لكنهم علموا أنه القائد من حذائه المميز الذي كان يرتديه كعادته، فأبلغوا القيادة عبر اللاسلكي.

فعلم العدو أن «إبراهيم الرفاعي» قد أصابته نيرانهم، فأطلقوا الهاونات الكاشفة احتفالًا بهذه المناسبة، فقد رصدت إسرائيل جائزة ٧٠ مليون دولار لمن يحضر «الرفاعي» حيًّا أو ميتًا!

ووصل «الرفاعي» إلى مستشفى الجلاء وحضر الطبيب وكانت الدماء تملأ صدره، وقال الطبيب لرجال «الرفاعي»: «دخّلوا أبوكم»، فأدخلوه غرفة العمليات، وألقوا عليه نظرة الوداع، وقبّلوا جبينه، وخرجوا.

وذهب «الرفاعي» للقاء ربه، يوم الجمعة، وهو صائم، والمصحف في جيبه المجاور لقلبه، وتسلم رجاله جثمانه بعد ثلاثة أيام، وقالوا إن جثمانه ظل دافئًا، وتنبعث منه رائحة المسك حتى وُري الثرى.

ولم تستطع إسرائيل أن تدخل إلى الإسماعيلية بسبب بسالة «الرفاعي» ورجاله؛ فاتجهوا إلى السويس.

كانت بطولات «إبراهيم الرفاعي» والذين معه حديث الصحف والمجلات، فهم علامات فارقة في تاريخ العسكرية المصرية.

obeikandi.com

١٩٧٤

أخذ أربع صابونات.. ومات!

(١)

في الثامن عشر من يناير وقَّعت مصر مع العدو الإسرائيلي اتفاقًا عند الكيلو ١٠١ على طريق السويس لفك الارتباط بين القوات في سيناء.

ونصَّ الاتفاق على انسحاب القوات الإسرائيلية، وانتشار القوات المصرية على شريط بعرض ٢٥٠ كيلومترًا، وتخفيض عدد قوات الجانبين في المنطقة، إلى جانب نشر قوة الطوارئ الدولية.

واندلعت المظاهرات في تل أبيب، وطالبت باستقالة وزير الدفاع الإسرائيلي موشي ديان باعتباره سبب الهزيمة في حرب أكتوبر، وبعد شهرين استقالت «جولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل.

وهاجمت مجموعة تطلق على نفسها «منظمة التحرير الإسلامي» الكلية الفنية العسكرية للاستيلاء على السلاح، بهدف محاصرة الاتحاد الاشتراكي، واعتقال الرئيس «السادات»، وقلب نظام الحكم، لكنها فشلت وتم إلقاء القبض على أعضائها.

obeikandl.com

وصدر قرار برفع الرقابة عن الصحف، وتحميل رؤساء التحرير المسؤولية الكاملة عما تنشره صحفهم، وذلك فيما عدا الأخبار التي تمثل النواحي العسكرية، وتم العفو عن ألفي سجين سياسي.

(٢)

وعاد «علي أمين» من منفاه الاختياري في لندن.

ودعاه «هيكل» لزيارة «الأهرام» ولبَّى «علي» الدعوة، وقاما معًا بجولة داخل الجريدة، وحدَّد «هيكل» موعدًا لوليمة غداء تقيمها «الأهرام» للاحتفاء بعودة «علي أمين» بعد غياب دام لسنوات.

وفي ذات اليوم الذي حدده «هيكل» لوليمة الغداء، خرج «مصطفى أمين» من السجن، وطلب من شقيقه «علي» أن لا يلبي دعوة «هيكل»، وذلك لأن «مصطفى» كان يعتقد أن «هيكل» هو السبب في دخوله السجن، واعتذر «علي»، وأُلغيت مأدبة الغداء.

وذهب «هيكل» إلى منزل «مصطفى أمين» مهنئًا، وكانت المقابلة باردة -مثلما وصفها «جلال الدين الحمامصي»- إلى الحد الذي اضطر «هيكل» إلى المغادرة بعد دقائق معدودة من وصوله.

وبعد أيام خرج «هيكل» من «الأهرام» ودخل «علي أمين».

وحاول «علي» أن يغيِّر كل شيء في «الأهرام»، فقد غيَّر التبويب، وترتيب الصفحات، وصياغة الصفحة الأولى، والمانشيتات حتى كادت «الأهرام» تكون نسخة من «أخبار اليوم».

وواجه «علي أمين» ثورة عارمة من أغلب قيادات «الأهرام» رغم حبهم له، لكنهم كانوا يرفضون تغيير شخصية «الأهرام» التي صنعها

«هيكل» على مدار ١٧ عامًا، وعلَّق «مصطفى أمين» على ما فعله أخوه قائلًا: «لا يمكن لعاقل أن يقدِم على تغيير شخصية جريدة عمرها مئة عام في عام واحد».

ولم تستمر تجربة «علي أمين» في «الأهرام» سوى ثلاثة أشهر فقط، بعدها قرر الرئيس «السادات» إعادته إلى «أخبار اليوم» ليكون مشرفًا عليها بصحبة شقيقه «مصطفى أمين» ليبدآ رحلة إعادة هذه الصحيفة الكبيرة إلى مكانتها.

وكانت أول فكرة خطرت على بال «مصطفى أمين» هي عمل كاريكاتير يومي يكتبه «أحمد رجب» ويرسمه «مصطفى حسين».

ويروي «مصطفى أمين» قصة بداية الكاريكاتير اليومي على صفحات «الأخبار» بقوله: «لاحظت أن (الأخبار) تنقصها الصور الكاريكاتيرية، وعلى الفور فكرت في عمل كاريكاتير في الصفحة الأولى، وآخر في الصفحة الأخيرة، ولم يطل تفكيري كثيرًا في الفنان الذي سوف يحقق لي الهدف الذي أنشده؛ إنه أحمد رجب تلميذي الذي بدأ محررًا في مجلة (الجيل)، وكان أسلوبه الساخر لافتًا للنظر للوهلة الأولى، وقد شجعته في البداية أن يقوم برسم الكاريكاتير لكنه لم يكن مستعدًّا لذلك، وأكد لي أنه مستعد لإعطاء الأفكار للرسامين وهم يقومون بتنفيذها».

وتابع «مصطفى أمين» قوله: «وبدأتُ أفكر في رسام موهوب ينفذ أفكار أحمد رجب، وعرفت أن عندنا رسامًا يعمل في (الأخبار) اسمه مصطفى حسين يقوم برسم القصص، واخترته لكي ينفذ الفكرة، وبالفعل بدأ التعاون بينهما، وفوجئت في نهاية الشهر الأول بأن توزيع(الأخبار) قد زاد ١٠٠ ألف نسخة».

(٣)

وفي ٢٨ أغسطس عقد الرئيس «السادات» اجتماعًا مع كبار الصحفيين في الإسكندرية، وقال لهم: «لا تراجُع عن حرية الصحافة لأي سبب، ولكن يجب أن تقدم الصحافة الصورة الحقيقية للشعب، يجب أن تبحث عن النغمة الصحيحة، ولا تتخذ من متاعبنا ملهاةً وسخرية».

واستطرد «السادات» قائلًا: «انقدوا السلبيات، انقدوا الحكومة، انقدوا الوزراء؛ ولكن يجب أن لا نتجاهل أن الحكومة تحمل تركة مثقلة، وأن أعباء اقتصاد الحرب وصلت بنا إلى حالة من الإنهاك».

بالطبع لم يتطرق الرئيس إلى الحديث عن نقده، فهذا لم يكن مطروحًا من قريب أو بعيد، فالرئيس يعتبر نفسه فوق النقد، بل هو مَن يحدد من يتم نقده ومن يتم التماس الأعذار له.

لكن كلام «السادات» لم ينتهِ، فقد واصل حديثه قائلًا: «إنني لن أسمح بقيام مراكز قوى تحت أي اسم في الصحافة وفي غير الصحافة».

وتابع الرئيس قوله: «لي عتاب كبير جدًّا على الصحافة، عتابي في كلمتين، هناك نغمة مفقودة يجب أن نبحث عنها، عندما نكون خارجين من معركة بعد ست سنوات معاناة وتمزقنا، وحدث انهيار اقتصادي كامل، هل هذا سبيل للسخرية من جانب صحافتنا على وضعنا، ونقول إن واحدًا أخذ أربع صابونات ومات؟»، وكان المقصود من ذلك الكُتاب الساخرين بصفة عامة، و«أحمد رجب» بصفة خاصة.

واختتم «السادات» حديثه قائلًا: «حرية الصحافة على عيني ورأسي، بل إنني أرجو مزيدًا من الحرية، ونحن نعيد صياغة حياتنا، ولكن هل الصحافة مركز قوى جديد؟ في الصحافة محاولة لتسوية حسابات قديمة

books4arab.com

وشخصية.. ليه؟ ويجب أن لا يتوهم أحد أنني أسمح أو أن الشعب سيسمح لمراكز قوى جديدة تحت اسم.. صحافة.. كاتب.. مؤسسة».

كان واضحًا أن الرئيس «السادات» يقصد بكلامه عن مراكز القوى في الصحافة «محمد حسنين هيكل» الذي كان قد صدر قرار بإبعاده عن رئاسة تحرير جريدة «الأهرام».

وعلق «عبد المنعم الصاوي» نقيب الصحفيين، على كلام الرئيس قائلًا: «إن كل صحفي يكنّ كل التقدير لسيادتك، وكل الصحفيين يشاركونني في شكر سيادتك على حرية الصحافة، وحرية المجتمع التي أعدتها».

وأردف نقيب الصحفيين قائلًا: «الحديث الذي تم عن الانفتاح كان فيه مبالغة، وهي مبالغة لا تخدم المواطن، ولا تسهم في بناء المجتمع.. لذلك يلتزم الصحفيون أمامكم برفع مستوى أدائهم».

كلام نقيب الصحفيين كان يقصد الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين» وعبارته الأشهر: «الانفتاح.. سداح مداح».

وهنا تدخَّل «فكري أباظة» قائلًا: «إن مهنة الصحافة هي مهنة المتاعب، لأنه منذ الحرب العالمية الأولى حتى الآن، والصحافة مقيدة لمدة ٥٧ سنة، وكان هناك كبت للقلم، والآن بعد إلغاء الرقابة لا بد أن يحدث الانفجار، والصحفيون معذورون بعد أن أعطيتنا الحرية يا سيادة الرئيس».

(٤)

وفي نفس التوقيت استقال الرئيس الأمريكي «نيكسون» بسبب فضيحة «ووترجيت».

والقصة بدأت حين قرر «نيكسون» التجسس على مكاتب الحزب الديموقراطي المنافس في مبنى «ووترجيت»، وألقت الشرطة القبض على خمسة أشخاص يقومون بزرع أجهزة تنصت على المكالمات الهاتفية للجنة القومية للحزب الديموقراطي.

وأشارت التحقيقات إلى وجود مبالغ مالية بحوزة المدانين تثير الشكوك، وعند تتبع الحسابات المالية، وُجد أن لها علاقة بمؤسسات ممولة لحملة إعادة انتخاب الرئيس «نيكسون».

وفي هذه الأثناء التقى الصحفيان «كارل برنستين» و«بوب وود ورد» شخصًا مجهولًا أطلقا عليه «الصوت العميق» وكشفا أن هناك علاقة بين عملية السطو والتجسس، ومحاولة التغطية عليها، وبين جهات رسمية رفيعة، مثل وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية، وصولًا إلى البيت الأبيض.

وانفردت صحيفة «واشنطن بوست» بنشر تلك التفاصيل، فقامت الدنيا، وبدلًا من أن تنتهي القضية بإدانة المتهمين توسعت دائرة التحقيقات حتى شملت الرئيس نفسه، وثبت تورطه، وأُدين بتهمة الكذب على مكتب التحقيقات الفيدرالي، واضطر الرئيس «نيكسون» إلى تقديم استقالته.

openkanagl.com

١٩٧٥

لم أستأذنها قبل النشر

(١)

في صباح يوم السبت، الأول من فبراير، خرج مانشيت «أخبار اليوم» يقول: **حالة أم كلثوم حرجة جدًّا**

- **كونصلتو من الأطباء في مستشفى المعادي**
- **حالة المخ خطيرة.. الأزمة القلبية تحسنت**
- **أم كلثوم ما زالت في غيبوبة تامة.. عملية نقل دم الساعة ٢ مساءً**
- **الرئيس يسأل عن صحة أم كلثوم**

وفي يوم الثلاثاء، الرابع من فبراير، كان مانشيت «الأخبار» يقول:

- **«ماتت أم كلثوم»**
- **اضطربت ضربات القلب ثم أبطأت.. وتوقفت الحياة الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة**
- **قصة صراع بين أم كلثوم والموت في ١٠٠ ساعة**
- **الجنازة غدًا الأربعاء الساعة ١١ صباحًا من مسجد عمر مكرم**

obeikandi.com

وتصدر نبأ رحيل السيدة «أم كلثوم» الصفحات الأولى لكل الصحف اليومية المصرية والعربية والعالمية، وحملت الصحف تفاصيل رحيل أم كلثوم، وجنازتها، وتجاهلت «الأخبار» الرئاسية والسياسية في هذا اليوم.

وخرجت الملايين تودِّعها، وداعًا يليق بمعجزة فنية كبرى، وجاء الناس من كل حدب وصوب، وبكت عليها الجماهير من المحيط إلى الخليج.

ولم يحدث ذلك في تاريخ تلك الصحف لفنان إلا لـ«أم كلثوم»، فلم يبلغ أحد تلك المكانة التي بلغتها، ولم تحتفِ الصحف بأحد مثلما احتفت بها؛ فكل الصحف اتشحت بالسواد، وحوَّلت بعض الصحف لون «اللوجو» الخاص بها إلى اللون الأسود حزنًا على رحيل كوكب الشرق.

ووصفت جريدة «الأهرام» جنازة «أم كلثوم» قائلة:

- **مليون مواطن في وداع أم كلثوم**
- **الجماهير تحمل الجثمان ثلاث ساعات وتذهب للصلاة عليه في مسجد الحسين**

(٢)

وقدمت مجلة «آخر ساعة» عددًا تاريخيًّا عن «أم كلثوم».

وتصدرت العدد صورة نادرة لكوكب الشرق، وهي محمولة بين يدي «عمرو الدسوقي» ابن شقيقتها في رحلة في مياه على شاطئ الخليج العربي، ونشر «أنيس منصور» حوارًا أجراه معها قبيل رحيلها بعنوان: «لم أستأذنها في نشرها هذا الحديث».

وتضمَّن العدد مقالًا لمؤسس مجلة «آخر ساعة «محمد التابعي» بعنوان: «خرجت من قرية مغمورة لتصبح مطربة هذا العصر»، وتزيَّن

العدد برسوم للفنانَين «صلاح طاهر» و«مصطفى حسين».

وشارك في هذا العدد الأستاذ «مصطفى أمين» بمقال بعنوان: «أسرار وراء الصور.. ملف أم كلثوم»، وجاء فيه: «عرفتُ أم كلثوم عن قرب منذ أربعين عامًا وكتبت عن أم كلثوم كثيرًا، ولم أقل شيئًا، ذلك أن أشهر امرأة في العالم كانت زاهدة في الشهرة، وكانت إلى سنوات قريبة تخاف من الصحفيين، ولم تهاجَم فنانة في مصر كما هوجمت أم كلثوم، ونُشرت عنها القصص والأكاذيب، وأُلِّفت عليها الأكاذيب، وأُطلقت الشائعات، ولكن كل الطوب والأحجار التي أُلقيت عليها لم تهدم الهرم بل زادته ضخامة!».

ونشرت «آخر ساعة» حوارًا مع الشاعر الكبير «أحمد رامي» بعنوان: «كنتُ أبكي وأنا أكتب أغانيها»، وكتب عنها الشاعر «عزيز أباظة» قصيدة جديدة، وأعادت المجلة نشر مقال وقصيدة كتبهما «عباس العقاد» عن «أم كلثوم».

لكن مفاجأة العدد حملها الأستاذ «علي أمين» بعنوان:

- **مذكرات أم كلثوم كما كتبتها مع علي أمين**

وجاء فيها: «لم أسمع في يوم من الأيام من أبي وأمي شكوى بصوت مسموع عن الفقر، والحرمان الذي نعيش فيه، كانا يحاولان دائمًا إخفاء الضيق عنا، ولا يكشفان عن هذا الضيق إلا بهمسات بعد صلاة الفجر عندما يتصوران أنني وأخي نائمان لا نسمع شيئًا؛ ولكن هذه الهمسات عاشت معي، كانت تدوِّي في أذني، كنتُ أتصور أن كل ما أستطيع أن أقدمه لأمي هو أن أتطلع إلى السماء وأقول يا رب ساعد أمي».

(٣)

وفي أبريل أصدر الرئيس قرارًا بتعيين الفريق محمد حسني مبارك نائبًا له، وتولى «يوسف السباعي» وزارة الإعلام، بجانب عمله كوزير للثقافة.

وفي الخامس من يونيو أعاد الرئيس «السادات» افتتاح قناة السويس بعد تعطيلها لثمانية أعوام.

ويومها كان يسير «السادات» بصحبة الكاتبين «عبد الرحمن الشرقاوي»، و«أنيس منصور»، وحين نظر إلى الشط، ورأى الفلاحين، قال لـ«الشرقاوي» و«أنيس»: «مش دول بتوع عبد الرحمن الأبنودي بتوع وجوه على الشط، أمال الأبنودي فين؟».

ونشرت الصحف ما قاله الرئيس «السادات».

وفي اليوم التالي اتصل مدير مكتب «السادات»، «فوزي عبد الحافظ» بـ«الأبنودي» وقال له: «سعادة الريس منتظرك في استراحة المعمورة».

وبمجرد أن وصل إلى قصر الرئاسة، وضعه الحرس في غرفة المكتب، ومرت الدقائق ثقيلة على «الأبنودي» حتى جاء «السادات»، وقال له بصوت أجشّ «أنت جيت يا عبد الرحمن؟»، فردَّ عليه: «أهلًا سيادة الرئيس».

لكن «الأبنودي» وجد نفسه يقف أمام ترابيزة طويلة جدًّا، كأنها قد وُضعت من أجله، وبالتالي لا يستطيع مصافحة الرئيس إلا إذا أحنى رأسه!

وفجأة وفي أثناء مصافحته لـ«السادات» وجد مصورًا خلف ظهره يلتقط له صورة، وهو يبدو منحنيًا أمام الرئيس.

وفي اليوم التالي تصدرت الصورة الصفحة الأولى من جريدة «الأهرام».

(٣)

وفي أحد أيام شهر سبتمبر نشرت الصحف خبرًا صادمًا بعنوان:

- «انتحار درية شفيق»

و«درية شفيق» زعيمة نسائية كبيرة، وكاتبة صحفية كبيرة، ومؤثرة، فقد شاركت في تأسيس عدد من المجلات منها مجلة «المرأة الجديدة» التي شاركتها فيها «الأميرة شويكار»، وأسست مجلة «بنت النيل» وحاولت تحويلها إلى مجلة سياسية فتمت مصادرتها، وتم وضعها تحت الإقامة الجبرية في بيتها.

وقيل إنها في أيامها الأخيرة أُصيبت بالاكتئاب، ووجدوا جثتها ملقاة على الأرض أمام بيتها بعد سقوطها من الدور السادس الذي تسكنه.

olelkandal.com

١٩٧٦

لا أدَّعي أنني صحفي

(١)

في مساء يوم الأحد ١٤ مارس ألقى الرئيس «أنور السادات» خطابًا في اجتماع مشترك بين مجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، وكان هذا الخطاب بمثابة رسالة لشخص واحد فقط هو «محمد حسنين هيكل»!

وقد بدأ «السادات» حديثه في تلك الجلسة قائلًا: «أنا باقول الصحافة لا يمتلكها فرد؛ لكن بعض ورثة عبد الناصر متصورين أن لهم حق في حكم هذا البلد.. جمال عبد الناصر بنى جريدة الأهرام، لما حررها من جميع القيود المالية المفروضة على الدولة».

واستطرد «السادات» قائلًا: «سأقص عليكم واقعة واحدة عشان تعرفوا ليه أنا مش موافق على ملكية الصحف لأفراد.. كلكم قرأتم مذكرات موشي ديان عن الحرب، وإزاي لاموه وقالوا له: إنت ليه ما أعلنتش التعبئة العامة لما لقيت السادات بيعمل مناورات في سبتمبر، فرد عليهم: لأنه عملها قبل كده مرتين وفي كل مرة كنت أصرف ١٠ ملايين

obeikandl.com

جنيه، ويطلع فاشوش، فالنوبة دي طلعت صح.. مش غلطتي بقى».

وضحك الحضور، فواصل «السادات» حديثه قائلًا: «إيه اللي كان بيجرى في العملية دي؟ اللي كان بيجرى أنه في أول أبريل ١٩٧٣ قبل المعركة اجتمعت بالقادة، وتحدد لي المواعيد اللي يصلح فيها القتال، ومن ضمن المواعيد كان شهر مايو؛ لأن دي حاجات مقترنة بعلوم كثيرة في الفلك والمد والجزر وحكاية طويلة قوي، ومجموعة في مايو، ومجموعة في أغسطس، ومجموعة في سبتمبر وأكتوبر، فببساطة أنا علشان أعمل خداع استراتيجي في كل مجموعة من دول لأن مش أنا بس اللي عارف أن التوقيتات دي تصلح، اليهود كمان عارفين أن دي أفضل توقيتات للحرب، فأنا بقيت آجي في كل توقيت من دول وأسخّن البلد، وأدِّي أمر للصحف تنزل بحتت صغيرة كده.. آيات قرآنية.. أو أي شيء.. انفعال.. حماس.. وفي نفس الوقت أدِّي أمر في الجبهة بتحركات غير عادية».

وتابع «السادات» قوله: «لما اديّت الأمر للصحف كنت بادِّيها في التوقيتات التي تصلح للقتال عشان اليهود بيراقبوا الصحافة عندنا، وكانت الصحف كلها تنفِّذ التعليمات إلا (الأهرام).. ليه؟ لأن رئيس تحريرها مش مقتنع، دا أنا اللي مدِّي الأمر.. وطبعًا ماينفعش أقوله أنا باعمل كده ليه؟ تخيلوا ده رئيس تحرير فقط، فما بالكم لو كان هو مالك الجريدة.. عشان كده لا يمكن أن أسمح أن فردًا يمتلك جريدة».

وأردف الرئيس قائلًا: «أنا زيّ ما قلت لن أتراجع عن حرية الصحافة أبدًا، ولن أضع قيودًا على حرية الصحافة، ولكن لا بد أن يعاد تشكيل مجالس إدارات الصحف فورًا من جيل جديد».

.. فصفَّق الحضور للرئيس.

(٢)

وفي الخامس من أبريل، تصدر عنوان كبير غلاف مجلة «روزاليوسف» يقول «الصحفيون والرئيس!».

وفي هذا العدد كتب الأستاذ «صلاح حافظ» مقالًا سخر فيه من شائعة إبعاده هو و«فتحي غانم» من رئاسة تحرير «روزاليوسف» وقد جاء فيه: (يعرفني أصدقائي أني لا أصلي الفجر حاضرًا، وأن الصباح المبكر بالنسبة إليَّ لا يبدأ إلا قبل الظهر بقليل؛ ولكن أحدهم صمَّم على إيقاظي فجر الأحد الماضي بطَرْقات تشبه إلى حدٍّ كبير طرْقات زائري الفجر، ودخل وهو يقول: لم يكن مفر من حضوري، حاولت الاتصال بالتليفون فلم أفلح.

قلت: خير؟

قال: ماذا حدث في «روزاليوسف»؟

ودفع إلى صدري بالصحف التي معه، لأقرأ فيها التشكيلات الجديدة للدور الصحفية، ومضيتُ أقرأ وأنا بين النوم واليقظة، حتى وصلت إلى مجلس إدارة «روزاليوسف»، فلم أرَ أن شيئًا قد حدث!

فنظرتُ إلى صديقي مستفسرًا، فإذا به يقول: إنها مفاجأة طبعًا، ولكن ولا يهمك، أنت في النهاية كاتب، وفتحي غانم كاتب، وقيمتكما هي القلم، لا المنصب!

وهنا بدأتُ أفهم، لقد وجد أن تشكيل «روزاليوسف» يخلو من

اسمينا، فتصور أننا أُبعدنا من رئاسة التحرير، وبصعوبة شديدة تمكنتُ من إفهامه أن القرار صادر بأسماء مجلس الإدارة فقط، وأننا ما زلنا على كراسينا المتواضعة).

والمدهش أنه بعد أقل من عام على تلك الواقعة تم إبعاد «صلاح حافظ» و«فتحي غانم» من رئاسة التحرير.. ولهذا قصة نرويها فيما بعد!

(٣)

وفي نفس الشهر اتشحت «أخبار اليوم» بالسواد حزنًا على رحيل أحد مؤسسيها «علي أمين».

والأستاذ «علي» لمن لا يعرف دوره، كان متخصصًا في تطوير الشكل الفني للصحف والمجلات، وطباعتها وتوزيعها، ولولاه لظلت الصحف عبارة عن مقالات رأي طويلة، وهو صاحب عمود «فكرة» الذي ارتبط باسم أخيه، لكن أكثر أعماله شهرة كان «عيد الأم»، فقد طرح الفكرة لأول مرة في عموده «فكرة» قائلًا: (لِمَ لا نتفق على يوم من أيام السنة نطلق عليه يوم الأم ونجعله عيدًا قوميًّا في بلادنا وبلاد الشرق، وفي هذا اليوم يقدم الأبناء لأمهاتهم الهدايا الصغيرة، ويرسلون للأمهات خطابات صغيرة يقولون فيها «شكرًا» أو «ربنا يخليك»؟ لماذا لا نشجع الأطفال في هذا اليوم أن يعامل كل منهم أمه كملكة فيمنعوها من العمل، ويتولوا هم في هذا اليوم كل أعمالها المنزلية بدلًا منها؟ ولكن أيُّ يوم في السنة نجعله «عيد الأم»؟).

وبعد نشر المقال بجريدة «الأخبار» اختار القراء تحديد يوم ٢١ مارس ليكون عيدًا للأم.

obeikandl.com

(٤)

في هذا التوقيت تولى الكاتب الكبير «أحمد بهجت» رئاسة تحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون»، كما قرر الرئيس «أنور السادات» أن يُصدر مجلة جديدة، وفي أثناء عودته من إحدى الرحلات الخارجية، استدعى «أنيس منصور» في الطائرة وطلب منه أن يجهز له تصور مجلة جديدة سيكون رئيسًا لتحريرها.

لكن الرئيس لم يخبر «أنيس» بأي تفاصيل، لم يقل له أي شيء، لا عن مكان صدور المجلة، ولا ميزانيتها، ولا اسمها، ولا من سيعملون بها، وكان الاسم المقترح لها هو «٦ أكتوبر»، وأسفلها «١٠ رمضان».

ولجأ «أنيس منصور» إلى صديقه «يوسف السباعي» ليساعده، فخصص له «السباعي» مكتبًا في «الأهرام»، وقرر أن يقوم بطباعة المجلة في «الأهرام» أيضًا، وأن تقوم إدارة الإعلانات بتوفير ما تحتاج إليه المجلة الجديدة، ولولا هذه المساعدة ما كانت لترى مجلة «أكتوبر» النور.

والتقى «أنيس منصور» الرئيس، واتفقا على أن يعد «أنيس» عدة نماذج لكي يبدي رأيه فيها ليبدأ العمل فورًا. أعدّ «أنيس» البروفات الخاصة بالمجلة، واستقرَّا على تسميتها «أكتوبر»، وقرأ «السادات» بروفات الأعداد التجريبية الأولى، وعلّق عليها بورقة بخط يده جاء فيها:

(عزيزي أنيس.. لقد راجعتها وأجريتُ التصحيحات اللازمة مع استخدام أسلوبنا الصحفي أول السطر وغيره، ولكنني أريدك أن تراجعها بنفسك، فقد تكون هناك مواقف تحتاج لإبرازها إلى استعمال

obeikandl.com

الفن الصحفي، ولا أدّعي اليوم أنني صحفي، مع تحياتي.. توقيع: أنور السادات).

وصدر العدد الأول من مجلة «أكتوبر» في ٣٠ أكتوبر، وانتشرت نكتة تقول إن هذه المجلة خرجت في أكتوبر لتُغلق في نوفمبر!

وأمضى «أنيس منصور» سنوات استغرقه فيها العمل في «مجلة أكتوبر» الوليدة ومجلة أخرى هي «وادي النيل» وما يكلفه به الرئيس السادات من مهام متعددة، ولم يكن مرتبه في ذلك الوقت يزيد على ٤١٦ جنيهًا شهريًّا، بينما يوافق على علاوات لمن هم دونه تصل إلى ما يعادل مرتبه مرة ومرتين وزيادة، ولم ينتبه إلى حقه في أن يتقاضى علاوة سنوية، وقد كان نائبه يتقاضى ثلاثة أضعاف مرتبه.

وبعد عشرين عامًا سأل سكرتيره: لماذا لم تنبهني إلى زيادة مرتبي أو تعديله، فكان جوابه عجيبًا: «لقد ظننا أن سيادتك لا تريد فلوسًا!»

(٥)

وفي شهر نوفمبر كتب الشاعر «أمل دنقل» قصيدة جديدة يقول فيها:

لا تُصالِح

ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما..

هل ترى..؟

هي أشياء لا تُشترى.

obeikandl.com

خرجت هذه القصيدة قبل عام كامل من زيارة «السادات» لإسرائيل؛ كأن «أمل» كان يقرأ الطالع السياسي للرئيس، فلم تكن هناك أي مؤشرات واضحة حول ذهاب الرئيس إلى إسرائيل، بل كان احتمالًا مستبعدًا حتى بالنسبة إلى قادة الصهاينة ذاتهم!

obeikandl.com

١٩٧٧

سلطة شرعية أو بلطجية!

(١)

في صباح يوم الاثنين ١٧ يناير كان العنوان الرئيسي في جريدة «الأهرام» يقول:

– **علاوة إضافية لجميع العاملين من أول يناير.. زيادة المعاشات بنسبة ١٠ في المئة**

وفي مساء نفس اليوم وقف «عبد المنعم القيسوني» نائب الوزراء ورئيس المجموعة الاقتصادية، أمام مجلس الشعب، ليعلن عن قيام الحكومة باتخاذ مجموعة من القرارات الاقتصادية الحاسمة والضرورية، وذلك تحت ضغط الصندوق والبنك الدوليين، ومن أجل توقيع اتفاق معهما.

وترتب على تلك القرارات زيادة في أسعار الخبز، الأرز، والسكر، والشاي، واللحوم، والبنزين، والبوتاجاز، والدقيق، والذرة، والحلاوة، والفاصوليا، والمنسوجات، والملابس.

وفي يوم الثلاثاء اندلعت انتفاضة شعبية بدأت بعدد من التجمعات

obeikandi.com

العمالية الكبيرة في منطقة حلوان بالقاهرة في شركة «مصر حلوان للغزل والنسيج»، والمصانع الحربية، وفي مصانع الغزل والنسيج في شبرا الخيمة، وعمال شركة الترسانة البحرية في منطقة المكس بالإسكندرية، وبدأ العمال يتجمعون ويعلنون رفضهم للقرارات الاقتصادية وخرجوا إلى الشوارع في مظاهرات حاشدة تهتف ضد الجوع، والفقر، وتطالب بسقوط الحكومة رافعة شعارات منها: «سيد مرعي يا سيد بيه كيلو اللحمة بقى بجنيه».

وفي صباح اليوم التالي خرجت عناوين جريدة «الأخبار» تقول:

- **مظاهرات عن الأسعار تتحول إلى مؤامرة وتخريب**
- **عناصر تخريب وجهت المظاهرات إلى حرق سيارات خاصة ووسائل نقل في الإسكندرية والقاهرة بتحريض من عناصر ماركسية**

بينما كان العنوان الرئيسي في «الأهرام» يقول:

- **ضبط وثائق الخطة الكاملة لحرق القاهرة مع أعضاء التنظيم الشيوعي السري**

وفي اليوم التالي تم إعلان حظر التجول، وإلغاء القرارات الاقتصادية؛ فانتشرت قوات الجيش في الشارع، وأدار الرئيس «السادات» الأزمة من استراحته في أسوان، وقرر إجراء تعديل وزاري.

وفي الأول من فبراير أجرى الرئيس استفتاءً شعبيًّا على الإجراءات الاقتصادية والقرارات التي اتخذها في مواجهة أحداث يناير فجاءت نتيجة الاستفتاء ٩٩,٤٢٪ مؤيدين.

(٢)

لكن مجلة واحدة فقط هي التي خرجت عن النص، وخالفت تعليمات الأجهزة، واختلفت مع توجهات الرئيس الذي وصف أحداث ١٨ و١٩ يناير بـ«انتفاضة حرامية».

تلك المجلة كانت «روزاليوسف» التي وصفت تلك الانتفاضة بـ«انتفاضة الخبز»، واشتبكت «أخبار اليوم» بقيادة «موسى صبري» مع «روزاليوسف» بقيادة «صلاح حافظ».

وأطلق «موسى صبري» شرارة المعركة بنشره مقالًا تحت عنوان: «الزواج، والطلاق، ودافيد»، ونشرته جريدة «الأخبار» في صفحتها الأولى، وشكّك «صبري» في وطنية «حافظ» بسبب إعادة نشره لمقال نشرته مجلة أمريكية تهاجم الرئيس.

ورد «صلاح حافظ» بمقال جاء فيه: «لا أستبعد أن أصحو من نومي غدًا فأجد نفسي المتهم الأول بمحاولة حرق القاهرة.. وإذا حدث هذا، فإن الذي يتهمني لن يكون النيابة، وإنما (أخبار اليوم)، وسيكون الاتهام بالتأكيد بقلم رئيسها الزميل: موسى صبري».

وواصل «حافظ» حديثه قائلًا: «أما أن الاتهام سيصدر من (أخبار اليوم)، فلأنها سباقة إلى اتهام الوطنيين بشكل خاص.. أما أن الاتهام سيكتبه موسى صبري فلأنه معجب جدًّا بي، ولا يتصور أن يشن حملة على غيري ويتجاهلني، ولا يطاوعه ضميره أن يضبط مؤامرة لا أكون طرفًا فيها!».

واستطرد «حافظ» قائلًا: «ولما كانت القاهرة قد تعرضت لحريق إجرامي في يناير الماضي، و(أخبار اليوم) قد سبقت النيابة والقضاء إلى اكتشاف جميع الخبايا وراءه، وكتبت قرار الاتهام وأصدرت الأحكام، فقد كان على الزميل موسى صبري أن يسارع بحجز مقعد لي في قطار الاتهام، حتى لا ألومه بعد ذلك على أنه خان صداقتنا، وترك القطار يفوتني!».

وأردف «صلاح حافظ» قوله: «لا شك أن الهوان لم يصل بي، ولا بأي مصري، حد انتظار شهادة بمصريته من الأستاذ موسى صبري، ولا من أي جهة أخرى في هذه البلاد، فالأستاذ موسى ليس إدارة الجوازات والجنسية، وانتماء المصري لوطنه لا تملك أن تنفيه أي سلطة على هذه الأرض، رسميةً كانت أو صحيفة، شرعيةً كانت أو بلطجية!».

(٣)

ولم يصمت «موسى صبري» بل رد بمقال طويل على «صلاح حافظ»، والمدهش أن «روزاليوسف» نشرت هذا المقال، وقد جاء فيه: «إنني مندهش من هذا الذعر الذي أصاب الكاتب الماركسي صلاح حافظ، عندما قلت إنه ماركسي، ولماذا هذا المقال المرتجف الذي كتبه بعد كابوس أقلق نومه، وخلخل أعصابه، وجعله يتصور أنه متهم بحرق القاهرة في المؤامرة التخريبية يومي ١٨ و١٩ يناير»!

واستطرد «صبري» قائلًا: «جاء مقال صلاح حافظ عني تنفيثًا عن عقدة الذنب، ومحاولة للخلاص منها أمام نفسه وأمام القراء، ولا أقصد أنه يحس بعقدة الذنب لأن له صلةً ما بحرق القاهرة أو بجرائم تخريبها، حتى لو صوَّرَت له كوابيس الأحلام هذا الاتهام، ولكني أقصد -فعلًا

وصدقًا- أنه أحس بعقدة الذنب بعد أن نشر مقال صحيفة (الهيرالد تربيون) الأمريكية عن أحداث القاهرة كاملًا، سطرًا بسطر، وكلمة بكلمة، والمقال خبيث، والمقال طعن في استقرار النظام المصري، ورياسة أنور السادات، والمقال يصور ما جرى كأنه ثورة شعبية ضد النظام، والمقال يُسجل أن السلام مع إسرائيل هو الحل الأوحد لإنقاذ النظام».

واستدعى الرئيس السادات «صلاح حافظ» إلى استراحة القناطر، وسأله: «هل ما زلت مصرًّا على تسمية ما جرى في أحداث ١٨ و١٩ يناير (انتفاضة الخبز)؟

فأجابه «حافظ»: نعم.

فرد الرئيس: إذن.. رئيس التحرير الجديد لمجلة «روزاليوسف» يجلس في الغرفة المجاورة لنا الآن.

وصدر القرار بإقالة «صلاح حافظ» و«فتحي غانم» و«عبد الرحمن الشرقاوي» رئيس مجلس الإدارة.

(٤)

ولم تكن معارك «موسى صبري» خارج «أخبار اليوم» فقط، بل كانت أيضًا مع مَن هم بداخلها!

فقد أرسل الكاتب الكبير «جلال الدين الحمامصي» خطابًا إلى «موسى صبري» جاء فيه: «عزيزي الأستاذ موسى صبري.. رئيس مجلس إدارة «أخبار اليوم».. امتد قلمك في الأيام الأخيرة، وبعنفٍ بالغ إلى مضمون مقالاتي-رغم اتفاقنا على عكس ذلك- فأحدثت بها تشويهًا وتبديلًا، وظهرت بعض الفقرات مبتورة، وبعض الجمل غير مفهومة

لأن الحذف والتغيير تمَّ عشوائيًّا، لا أريد الافتراض أن هذا كله تم قصدًا».

وأردف «الحمامصي» قائلًا: «وأنا أعود اليوم إلى المطالبة بتنفيذ ما اتفقنا عليه أكثر من مرة، وهو أن ترفع المقال كله إذا اصطدم قلمك المراجع بما تتصور أنه يحمل أفكارًا مخربة! أو ترى أني لا أقدر فيه مسؤولياتي نحو بلادي!».

لكن في الثلاثين من مارس، صمت الجميع.

وأُصيب البعض باكتئاب شديد، وأُصيب البعض الآخر بذهول كبير، وحاول البعض الانتحار، بل هناك من ألقى بنفسه من شرفة منزله من هول الصدمة، وذلك حين خرجت الصحف تقول:

- **مات عبد الحليم حافظ**

وسار كل الفرقاء، والمنافسين، والمختلفين، والمتناحرين، والمتخاصمين في جنازة العندليب، وبكوا عليه جميعًا، وشعروا أن الأجل قد اقترب، فقد رحل عبد الحليم وهو في قمة عطائه، وألقه، وتألقه.. وهكذا الدنيا.

(٥)

لكن يبدو أن هذا العام أبى أن يمر دون أحداث كبرى أخرى.

ففي يوم الأربعاء التاسع من نوفمبر وقف الرئيس «السادات» أمام مجلس الشعب وقال: «أنا مستعد أن أذهب إلى آخر العالم، وسوف تُدهش إسرائيل حين تسمعني أقول إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم، إلى الكنيست ذاته».

وفي يوم الخامس عشر من نوفمبر وجّه «مناحم بيجين» رئيس وزراء إسرائيل، الدعوة إلى «السادات» لزيارة إسرائيل، وقَبِلَها «السادات».

فاستقال إسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، احتجاجًا على سفر الرئيس إلى إسرائيل، فقرر «السادات» تعيين «محمد رياض» الذي كان يتولى وزير دولة للشؤون الخارجية؛ ولكن حين استدعاه «محمد حسني مبارك» نائب رئيس الجمهورية، وأخبره بتجهيز نفسه ليسافر مع الرئيس «السادات» إلى إسرائيل، اعتذر رياض عن قبول المهمة.

وبعد عشرة أيام فقط من خطاب «السادات» في مجلس الشعب المصري، كان يخطب في الكنيست الإسرائيلي، وخرج عنوان جريدة «الأهرام» يقول:

- **السادات في إسرائيل من أجل السلام الدائم**

ob eikandi.com

١٩٧٨

رجل مجنون

(١)

اليوم: الجمعة، السابع عشر من فبراير.

وصل «يوسف السباعي» رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير «الأهرام»، إلى قبرص على رأس الوفد المصري المشارك في مؤتمر التضامن الأفروآسيوي السادس.

وفي الحادية عشرة من صباح اليوم التالي نزل «يوسف السباعي» من غرفته بالطابق الخامس بفندق «هيلتون» متوجهًا إلى قاعة المؤتمر بالطابق الأرضي.

وتوقف «السباعي» أمام منفذ بيع الكتب والجرائد المجاور لقاعة المؤتمر؛ لإلقاء نظرة على صحف الصباح، وفجأة وجد أمامه شخصين مسلحين أطلقا ثلاث رصاصات أصابت رأسه.

وفي يوم التاسع عشر من فبراير كان العنوان الرئيسي لجريدة «الأهرام» يقول:

- **اغتيال يوسف السباعي في جريمة سوداء بيد التطرف الفلسطيني**

obeikandi.com

في قبرص

- **إرهابيان يقتحمان قاعة اجتماعات مؤتمر التضامن ويطلقان رصاصات تصيب يوسف السباعي في رأسه**

وخرج مانشيت جريدة «الجمهورية» يقول:

- **اغتيال يوسف السباعي في قبرص**
- **الجريمة لن تذهب بدون عقاب**

فقد زعم قاتلا «السباعي» أنهما قد قتلاه لأنه ذهب إلى القدس برفقة الرئيس «السادات».

وبعد اغتيال «السباعي» أخذ القاتلان نحو ثلاثين من أعضاء الوفود المشاركين في مؤتمر التضامن رهائن واحتجزوهم في كافيتيريا الفندق مهددين باستخدام القنابل اليدوية في قتل الرهائن ما لم تستجب السلطات القبرصية لطلبهما بنقلهما جوًّا إلى خارج البلاد.

واستجابت السلطات القبرصية لطلب القاتلَين، وتقرر إقلاعهما على طائرة قبرصية؛ لكن عدة دول رفضت أن تهبط بها طائرة الرهائن من بينها ليبيا، وسوريا، واليمن، وبعد هبوط اضطراري في جيبوتي تقرر عودة الطائرة إلى مطار قبرص مرة أخرى.

(٢)

وفي اليوم التالي أُقيمت المراسم الجنائزية لدفن «يوسف السباعي»، ولم يحضر الرئيس «السادات» الجنازة؛ لكنه خطَّط للثأر.

فقد أرسل في اليوم التالي طائرة تُقلّ مجموعة من رجال الصاعقة إلى قبرص بغرض القبض على القاتلَين، وتحرير الرهائن المحتجزين على متن الطائرة القبرصية.

ودارت معركة ضارية، وبعد عودة رجال الصاعقة تم استقبالهم بالورود، وتكريمهم ومنحهم الأوسمة، وأُقيمت جنازة شعبية لضحايا الحادث شارك فيها الرئيس «السادات»، وأعلنت مصر قطع علاقاتها مع قبرص.

وفي التاسع من مارس بدأت محاكمة قاتلَي السباعي «زيد حسين علي» و«سمير محمد خضير» أمام المحكمة القبرصية، ورأس الجلسة المدَّعي العام القبرصي، وحضرها فريق من المراقبين المصريين كان على رأسه المدعي العام المصري عدلي حسين، وفي الرابع من أبريل حكمت المحكمة القبرصية على قاتلَي «السباعي» بعقوبة الإعدام.

لكن بعد مرور عدة أشهر أصدر الرئيس القبرصي «سيبروسكابرينو» قرارًا رئاسيًّا بتخفيف الحكم عليهما من الإعدام إلى السجن مدى الحياة، وذلك لأسباب غير معروفة قيل إنها تتعلق بأمن قبرص، وترددت بعد ذلك أنباء تفيد بأن قاتلَي «السباعي» قد رُحِّلا من قبرص دون أن يتم تنفيذ الحكم.

(٣)

وفي اليوم نفسه نشرت مجلة «أكتوبر» حوارًا مطولًا لـ«أنيس منصور» مع الرئيس «السادات»، وتصدر الحوار عنوان يقول:

- **القذافي المجنون يحاول فرض حظر على مصر**

حمل الحوار سيلًا من الشتائم والاتهامات للرئيس الليبي معمر القذافي، فحين سأل «أنيس»، «السادات»: لماذا انزعجتْ ليبيا من تسليح أمريكا لمصر؟

أجاب «السادات» قائلًا: «أدهشني أن يبعث القذافي إلى مندوبة الأمم المتحدة ليحتجّ على تسليح أمريكا لمصر، كأن سلاحنا سيوجَّه ضد ليبيا، وذلك بدافع الحقد على مصر، وهذا يؤكد ما قلته من أن القذافي مجنون، وقد ثبت أخيرًا طبيًّا وبصورة قاطعة أن الرجل مجنون».

في هذا التوقيت اجتمع الرئيس «السادات» بالدكتور «مصطفي كمال حلمي» وزير التربية والتعليم، وقال له: «الناس غضبانة في الشارع.. أنا عايزهم ينبسطوا في امتحانات الثانوية.. نجّح الولاد يا مصطفى».

وطبعًا معالي الوزير سمع الكلام ونجَّح الأولاد بناءً على توجيهات السيد الرئيس!

كانت تلك التعليمات في الوقت الذي بدأ فيه الرئيس «السادات» مفاوضات كامب ديفيد، بعد أن دعاه الرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» لزيارة الولايات المتحدة، والجلوس مع «مناحم بيجين» رئيس الوزراء الإسرائيلي.

وقد كتب الرئيس الأمريكي «كارتر» في مذكراته يقول: «كان عليَّ أن ألعب بالكل -أي مصر وإسرائيل- حتى يربح الكل، وهو حل لم يكن مريحًا، إضافة إلى كونه خطرًا، لكنني لا أملك غيره.. كان عليَّ أن أُقنع السادات وبيجين لقبول التفاوض، تفاوضًا شاملًا، أكون أنا فيه المنظم والحَكم معًا، وحددت يوم الخامس من سبتمبر موعدًا للاجتماع في كامب ديفيد».

وكانت الصحف تنشر تفاصيل كواليس ما يجري في منتجع كامب ديفيد، وأشادت صحف الحكومة بالاتفاقية، لكن غالبية الشعب رفضتها.

(٤)

وبعد ثلاثة عشر يومًا فقط، وتحديدًا في صباح يوم الأحد السابع عشر من سبتمبر تم توقيع اتفاقية كامب ديفيد.

وفي اليوم نفسه استقال «محمد إبراهيم كامل» وزير الخارجية المصري، احتجاجًا على هذه الاتفاقية.

وفي اليوم التالي كان العنوان الرئيسي للصحف:

- **الخطوة الأولى على طريق السلام بعد ٣٠ عامًا من الحروب**

وفي التاسع عشر من سبتمبر، خرجت عناوين جريدة «الأهرام» تقول:

- **النصوص الكاملة لاتفاق كامب ديفيد للسلام**
- **المكاسب التي تحققت للفلسطينيين:**
- **انتهاء الحكم العسكري والإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية وغزة**
- **التزام إسرائيل بوقف إقامة أي مستعمرات جديدة في الضفة والقطاع**
- **بدء انسحاب إسرائيل من الضفة والقطاع فور انتهاء المحادثات**
- **مشاركة الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بمستقبل الضفة والقطاع والقدس**
- **المكاسب التي تحققت لمصر:**
- **انسحاب إسرائيل من سيناء حتى الحدود الدولية لمصر**

opeikandi.com

- **بدء الانسحاب فور توقيع معاهدة السلام خلال ثلاثة أشهر**
- **السادات في رسالته لشعب مصر: حققتُ ما كنت أريد ولم نعد في حاجة إلى أن نرسل أبناءنا للحرب مرة أخرى**

وكتب «علي حمدي الجمال» رئيس تحرير «الأهرام» مقالًا من واشنطن بعنوان «ما بين رحلة القدس ومحادثات كامب ديفيد»، جاء فيه: «لقد عشنا في واشنطن يوم الأحد يومًا عجيبًا.. قالوا في الصباح إن المحادثات وصلت إلى طريق مسدود، وعند الظهر أعلنوا أن الموقف تحسَّن، وأن فرص الاتفاق والفشل تساوت مع بعضها، وفي العصر جاءت الأنباء أنه لا أمل، وعند نهاية الغروب طلبوا منا التوجه إلى البيت الأبيض لحضور توقيع الاتفاق!».

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من أكتوبر قررت لجنة نوبل منح الرئيس «السادات» جائزة نوبل للسلام مناصفةً مع «مناحم بيجين».

وفي العام التالي حدثت عدة مفاجآت مدوية.

obeikandl.com

١٩٧٩

الوجه الحقيقي لـ«الانقلاب»!

(١)

في صباح يوم ١٦ يناير غادر الشاه «رضا بهلوي» من طهران إلى أسوان، وتم إعلان الجمهورية الإسلامية في إيران.

وطار «محمد حسنين هيكل» إلى باريس، والتقى «آية الله الخميني» قائد الثورة الإيرانية، وجلسا معًا لساعات، وأجرى معه أول حوار صحفي بعد نجاح الثورة.

وروى «الخميني» لـ«هيكل» قصة خمسة عشر عامًا قضاها منفيًّا في باريس، ورؤيته لإيران في الفترة المقبلة، ودوره في الثورة، وما سيفعله عند عودته لبلده، وعاد «آية الله الخميني» إلى طهران..

وبمجرد عودته قام بتغيير الحكومة، وأعلنت إذاعة طهران أن الجيش الإيراني قد حرر البلاد من ديكتاتورية أباطرة إيران.

وذهب «هيكل» إلى إيران، وقطع التليفزيون الإيراني بثه من أجل أن يُعلن وصول «محمد حسنين هيكل» إلى مطار طهران.

والتقى «هيكل» مع «الخميني» للمرة الثانية، وأجرى معه حوارًا مطولًا.

obeikandl.com

وفي هذا العام سقط نظام «عيدي أمين» في أوغندا، وصعد نظام «صدام حسين» لحكم العراق، وصار «صدام» رئيسًا لمجلس الثورة العراقية، ليصبح رئيسًا للجمهورية وللحكومة وقائدًا للجيش.

(٢)

وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من مارس وقعت حادثة كبرى؛ لكن الصحف المصرية تجاهلت تفاصيلها!

فقد انعقد مجلس جامعة الدول العربية في بغداد، وصدرت عنه عدة قرارات:

- **سحب السفراء العرب من القاهرة.**
- **التوصية بقطع العلاقات الدبلوماسية معها.**
- **تعليق عضوية مصر في الجامعة العربية.**
- **جعل تونس مقرًّا مؤقتًا لجامعة الدول.**
- **إدانة السياسة الأمريكية لدورها في التوصل لكامب ديفيد.**
- **تجميد كل القروض والودائع والضمانات والتسهيلات والمساعدات المالية لمصر.. إلى جانب منع المبادلات التجارية مع الدولة المصرية والشركات المصرية الخاصة.**

كانت تلك القرارات بعد ٤٨ ساعة فقط من توقيع اتفاقية السلام بين «أنور السادات» و«مناحم بيجين» في البيت الأبيض، وقد نصَّ الاتفاق على أن تستعيد مصر سيناء مقابل سلام كامل، وعلاقات دبلوماسية، واقتصادية، وثقافية، طبيعية «تطبيع» مع إسرائيل.

obeikandl.com

(٣)

وبعد أن انتهى «السادات» من مفاوضات السلام مع العدو، قرر أن يُغيِّر قانون الصحافة الذي وضعه «جمال عبد الناصر».

وفي ٢٢ يونيو تحدث الدكتور «صوفي أبوطالب» رئيس مجلس الشعب، إلى جريدة «الأهرام» قائلًا: «نقابة الصحفيين لن يكون لها نفس الكيان القائم، وإن المجلس الأعلى للصحافة سيأخذ منها حق القيد، وحق التأديب، وإن النقابة في ظل التغيرات الجديدة لن تزيد على كونها ناديًا اجتماعيًّا للصحفيين مثل نادي القضاة، كل دورها تقديم الخدمات، والرحلات، والأنشطة لأعضائها العاملين، والمعاشات لأعضائها المتقاعدين».

ورفض الصحفيون كل ما جاء على لسان «أبوطالب» جملةً وتفصيلًا، واضطر رئيس مجلس الشعب إلى التراجع مؤقتًا، وعاد إلى الكواليس!

وهنا ظهر على المسرح السياسي «منصور حسن» وزير الدولة لرئاسة الجمهورية، واقترح أن يقوم بزيارة للمؤسسات الصحفية ليناقش التعديلات المقترحة على قانون الصحافة الجديد.

وذهب إلى عدة مؤسسات صحفية، وحين جاء الدور على مؤسسة «روزاليوسف» كانت هناك مفاجأة في انتظاره.

ففي أثناء جلوس «وزير رئاسة الجمهورية» في غرفة اجتماعات «روزاليوسف» ليحاور المحررين، ويبشرهم بمزايا القانون الجديد، دخل سكرتير التحرير، وهو يحمل بروفات عدد يوم الاثنين التاسع من يوليو، وتتصدره حملة صحفية كبرى تحت عنوان: «انقلاب في بلاط صاحبة الجلالة» أعدها «عادل حمودة» و«فايزة سعد»، وجاء فيها:

«فجأة.. وقع انقلاب في بلاط صاحبة الجلالة..

استولت سلطة جديدة على العرش.. مات المَلِك يحيا المَلِك..

مات الاتحاد الاشتراكي.. يحيا المجلس الأعلى للصحافة..

وصدر البيان الانقلابي رقم واحد متفائلًا كعادة البيانات الانقلابية الأولى، متحمسًا كعادة البيانات الانقلابية الأولى.. ورديًّا كعادة البيانات الانقلابية الأولى.. ولم يصدق أحد من داخل الصحافة، ولا من خارجها البيان الأول، كالعادة أيضًا!.. والوجه الحقيقي لأي انقلاب ينكشف في قراراته، لا في منشوراته».

وطرح «حمودة» و«فايزة» كل التساؤلات التي تشغل بال الصحفيين، منها: «كيف تصبح الصحافة سلطة رابعة من سلطات الدولة؟ كيف تكون سلطة وهي لا تملك لا حق التشريع، ولا قوة التنفيذ، ولا قدرة إصدار الأحكام؟».

واختار الصحفيان شخصيات من العيار الثقيل لتدلي برأيها في تلك القضية، ومنهم: «إحسان عبد القدوس، ومصطفى أمين، وحافظ محمود، وصلاح حافظ، وكامل زهيري، وعبد الرحمن الشرقاوي»، بالإضافة إلى رئيس الهيئة العامة للاستعلامات «صفوت الشريف»، وآخرين.

(٤)

ونشرت «روزاليوسف» كل الآراء..

وجاءت تصريحات كبار الكُتاب، والمسؤولين مختلفة، ومباشرة، وصادمة أحيانًا، وتصلح للنشر لأمدٍ بعيد، فلم يتغير شيء منذ ذلك التاريخ.

obeikandi.com

فقد قال «إحسان عبد القدوس»: «إن الحكومة هي رئيس التحرير الوحيد في صحافتنا.. وإن ٦٠٪ من الصحفيين يقبضون ولا يعملون».

وعلَّق «مصطفى أمين» قائلًا: «المجلس الأعلى للصحافة هو بمثابة مجلس آباء لتلاميذ في مدرسة ابتدائي».

وقال «كامل زهيري»: «إن الثورات الثلاث التي وقعت في مصر لم تعالج حرية الصحافة».

بينما توقَّع صفوت الشريف رئيس الهيئة العامة للاستعلامات، أن تزدهر الصحافة الإقليمية، وأن تختفي خسائر المؤسسات الصحفية.

وتحت عنوان «الصحفيون والضباط» تحدث «صلاح حافظ» قائلًا: «حكومة تأميم الصحافة أفسدت الجو الصحفي، فتحول التأميم من حل إلى كارثة، ولا يوجد صحفي واحد لا يحلم بالثأر من باقي الصحفيين».

ودخلت على تلك الحملة صحيفتا «الأخبار» و«الشعب»، ومجلتا «المصور» و«أكتوبر»، ونجحت الحملة، وأدت إلى صدور قرار بأن يتولى الصحفيون أنفسهم تقنين سلطة الصحافة وصياغة مستقبلها.

وبعد أسبوعين فقط من توقُّف حملة «روزاليوسف» رحل «مرسي الشافعي» رئيس تحرير المجلة، ودخل «كامل زهيري» انتخابات نقابة الصحفيين رافعًا شعار أن عضوية النقابة كالجنسية لا يمكن إسقاطها، وذلك ردًّا على قرارات الرئيس بفصل الصحفيين.

(٥)

وغضب «السادات» على «علي حمدي الجمال» رئيس تحرير «الأهرام»، ووبَّخه أمام زملائه رؤساء تحرير الصحف أكثر من مرة، وأهانه أمام بعض المسؤولين عن الإعلام بسبب عدم رضا الرئيس عن مقالاته في

obeikandi.com

«الأهرام».

وحين سافر الرئيس إلى نيويورك لم يصطحبه معه، وأمر بمنعه من الصعود إلى الطائرة الرئاسية، رغم أنه اصطحب كل رؤساء التحرير، وتدخلت السيدة «جيهان السادات»، وأقنعت «الجمّال» بالسفر على نفقة «الأهرام» لإذابة الجليد بينه وبين الرئيس هناك.

وقيل له إنه سيجد سفير مصر في انتظاره في مطار نيويورك، وسيجد غرفة باسمه في الفندق الذي سيجلس فيه الوفد المرافق للرئيس، وطار «حمدي الجمّال» إلى الولايات المتحدة، وهناك كان في انتظاره أكثر من مفاجأة.

فلم يجد «الجمّال» أحدًا في انتظاره في المطار، واستقل التاكسي، وذهب إلى الفندق، واتجه إلى الاستعلامات وسأل عن غرفة محجوزة باسمه مع الوفد المرافق للرئيس فلم يجد، فأصابته أزمة قلبية مفاجئة وسقط مغشيًّا عليه!

وعلم «السادات» بما جرى، ولم يَنَم، وقالت زوجته إنه حزن لدرجة أنه صار يأكل بصعوبة بالغة.

(٦)

وفي صباح يوم العاشر من ديسمبر بدأت حقبة جديدة في تاريخ الصحافة حين قرر الرئيس «السادات» تغيير رؤساء تحرير الصحف القومية.

وجاء بأسماء لم تكن في واجهة المشهد، بل لم تكن معروفة للناس،

obeikandi.com

ولبعض الصحفيين، وبدا للجميع أن هذا هو المطلوب.

فقد أراد «السادات» أن يصنع جيلًا جديدًا من رؤساء التحرير على عينه، وفي الوقت نفسه يضرب أكثر من عصفور بحجر واحد، فقد تخلص من الجيل القديم من الصحفيين الذين صاروا في رأيه بمثابة مراكز قوى في الصحافة.

لذا أصدر قرارًا بترقية اثنين من شباب الصحفيين، وهما: «إبراهيم نافع» رئيسًا لتحرير «الأهرام»، و«إبراهيم سِعدة»رئيسًا لتحرير «أخبار اليوم».

ووقف «السادات» أمام الكاميرات ليتباهى برؤساء التحرير الجدد، ويخص بالإشادة «إبراهيم سِعدة» الشاب الذي رفض أن يسيء إلى بلده، مقابل دولارات كثيرة -على حد تعبير الرئيس.

كان واضحًا أن «السادات» يوجه رسالة إلى كبار الصحفيين الذين يكتبون بالدولار في الصحف غير المصرية ويهاجمونه، وعلى رأسهم «محمد حسنين هيكل» و«محمود السعدني».

وبعد ثلاثة أشهر فقط، قامت «أخبار اليوم» بعمل خبطة صحفية كبرى بطلها الرئيس!

oneikandi.com